



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ



شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

# البعث الإسلامي

أغسطس ٢٠١٤ م

شوال المكرم ١٤٣٥ هـ

مجلة إسلامية شهرية جامعة

August 2014

العدد الثاني - المجلد السادسون

## أنشائنا

**فقيد الدعوة الإسلامية**  
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى  
**في عام ١٩٥٥-١٣٧٥ هـ**

### رئاسة التحرير

**سعید الأعظمي الندوی**  
واضح رشید الندوی

### مساعداً التحرير:

محمد فرمان الندوی  
محمد عبد الله الندوی

## ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسيط والاعتذار، والجمع بين التقديم السالح والجديد الناشر، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في المقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومحسن، وأن يزداد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات المصر، و حاجات المسلمين وأحوالهم . الإمام الحلامة الشیخ السید ابوالحسن علی الحسني الندوی (رحمه الله)

## المراسلات

**البعث الإسلامي**  
**مُرئيَّة الصادفة والنشر**

ص.ب. ٩٣٠، لکناؤ (الهند) الفاکس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٥٢٢ -

**AL-BAAS-EL-ISLAMI**

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,

Lucknow, Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

## محتويات العدد

العدد الثاني - المجلد السادسون - شوال المكرم ١٤٣٥هـ - أغسطس ٢٠١٤م

الافتتاحية :

من منصب القيادة إلى ذل الاستسلام ١

الموجهة الإسلامية :

الأركان الخمسة في القرآن الكريم

التوازن النفسي شرط الإبداع والتميز

الدعوة الإسلامية :

رحلة البحث عن مسئول

شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية

الفقه الإسلامي :

السندات التجارية من وجهة نظر الشريعة الإسلامية

دراسات وأبحاث :

أبو الحسن علي الحسني الندوبي وجهوده في الفكير والدعوة

الأستاذ بالال عبد الحي الحسني الندوبي

مسيرة اللغة العربية في مصر المولدة

الأستاذ محمد أجمل القاسمي

صور وأوضاع :

الثورة تتمضمض عن الثورة

ادب الرحلات :

رحلات محمد بن ناصر العبودي الهدية تمبين أبي وتحليل نقدى

من مكنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوى

أخبار ثقافية واجتماعية :

رابطة أبناء الندوة توزع منح العالمة الندوى

افتتاح "ترجمة توضيحية" للقرآن الكريم

إصدارات حديثة :

أضواء على الجهود المبذولة في دعم هواد التوحيد والسنة

فضائل القرآن الكريم

دراسة تحليقية لبيان القرآن

إلى رحمة الله تعالى :

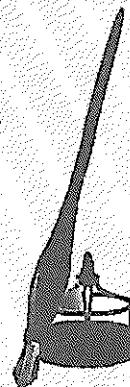
رحيل السيد فضل حق الندوى إلى رحمة الله تعالى

فضيلة الحاج محمد كليم الصديقي إلى رحمة الله تعالى

## من منصب القيادة إلى ذل الاستسلام :

من التاريخ البشري منذ وجوده بفترات كثيرة من الإسفاف الخلقي والتسللي المتبين في السلوك الفردي والجماعي ، فكان الإنسان قد تحول إلى أرذل خلق الله تعالى ، وتجاوز خط اليممية وتسلل إلى آخر درك من الوحشية والسبعينية ، ولكن الله سبحانه ابتنله من مصيره المشئوم عن طريق عباده المرسلين ، وخاصة لما توقفت عملية الإصلاح الديني من خلال ذلك التحرير الذي قام به أتباع المسيح في دينه وانسلخوا عن تعاليم الإنجيل الذي تناولوه بشيء كثير من التغيير والتبدل وإدخال ما لم يكن منه - إذ من المعلوم الثابت أن المسيحية لم تعد باقية في صورتها الأصلية إلا مدة وجيزة ، ثم وقفت فريسة التحرير على أيدي القديسين ، وفي مقدمتهم بولس الذي عُرف برسول الأمم في التاريخ النصراني - فمنذ ذلك الوقت تشوّهت تعاليم المسيح ، وظل النصارى ينشرونها باسم دين المسيح ، إلى أواخر القرن السادس المسيحي ، الواقع الذي أدى إلى الانحلال الخلقي والاجتماعي وشهد التاريخ الإنساني مسلسلات من المنازعات والخلافات بين اليهود والنصارى ، و من وقائع الإسفاف والتسللي ما لم يكن بالحسبان ، كان الفساد من كل نوع امترز باللحومن والدماء ، وعاشه إنسان ذلك العصر في محنة الحياة ، وتقاوم شره جمع المال ونهب اللذات بأي طريق ممكن .

عم هذا الوضع السيئ في كل مكان من الشرق والغرب ، فكان العالم البشري على مشارف الهلاك والدمار ، ويؤذن بنهاية العالم الأخيرة ، ولكن الله تعالى قضى بحكمته وبرحمة منه أن يجدد ولادة هذا العالم ،



ويمكن الإنسان فرصة للخروج من ظلمات الحياة إلى نور الإيمان ، والعودة من شقاء الجاهلية إلى سعادة الإسلام فقرر أن يبعث رسوله الأخير محمد رحمة للعالمين ، ويتبع للعالم البشري فرصة للعودة إلى فطرة الله تعالى والالتزام بمنهج إسلامي عادل خالد يقدر على إنقاذ البشر من جميع الأساليب والطرق المضادة لهذه الفطرة .

وقد حدث ذلك في نهاية العشرة الأولى من القرن السابع الميلادي ، ولقد كانت هذه البعثة إعلاناً عن نسخ جميع الديانات والمناهج والنظارات والفلسفات وأساليب الحياة التي سبقت الإسلام ، ذاك أن الدين الذي أنزله الله سبحانه عن طريق خاتم النبيين شمل حياة الإنسان وشئون الكون ، فكان يمثل حضارة شاملة للحياة والمجتمع في كل مكان ، وبطريق خالد دائم من غير أن يتغير بتغير الأوضاع وأن ينتهي قبل نهاية العالم البشري ، وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك فقال : "الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ❁ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجًا ❁ قَيْمًا لِيُنَذِّرَ بِأَسَأَ شَرِيدًا مِّنْ دُنْدَنَةَ ❁ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ❁ مَا كَيْفَيْنَ فِيهِ أَبَدًا" ، (الكهف: ١-٢) وقال : "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلَامُ" . (آل عمران: ١٩)

لم تكن بعثة الرسول الكريم إلا لتنفيذ هذا الدين الجديد الذي كان منسجماً مع طبيعة البشر ، ونوميس الكون ، ولم يكن إلا إنذاراً مما إذا أصر الناس على بقائهم على تقاليد الجاهلية ورذائل الأخلاق والانغماض في لوثات الوثنية والحروب القبلية ، أضف إلى ذلك وأد البنات والازدراء بجنس الإناث ، ورميه إلى مزابل الحياة واعتباره آلة لإشباع الشهوات فقط .

من خلال هذه السلوكيات المنحطة والعادات المرذولة كان تبادل السبائب والشتائم عادة مألوفة بين القبائل والمجتمعات ، حتى تمكنت الأدواء الخلقية من النفوس وتعمقت جذورها في جميع المجالات الفردية والجماعية ، وكان من المستحيل أن يتطرق إلى الناس قيم خلقية مثل



كالحب والثقة والنصح والخير ، بل كانت السيوف تخرج من أغمادها وينسخن الجو لأدنى شيء ، وليس حروب الجاهلية ، داحس والغبراء وبيسوس إلا أقل مثال لهذه النفسية التي عاشها إنسان ذلك اليوم ، وهي التي أورثت عداءً كبيراً بين الأفراد والجماعات وأبعدت الشقة بينهم التي توسيع على مر الأيام ولم يكن هناك مخرج منها في أي حال ، حتى جاء الإسلام ورسول الله وأنزل معه الكتاب الذي نور لهم الطريق وأخرجهم من الظلمات إلى النور وعلمهم المنهج الصحيح للحياة ، وهنالك انتقلت الموازين وتبدل المقاييس ، وحلت الأخوة والحب محل التفرق والمداواة ، وشهد العالم لأول مرة في تاريخه هذا الانقلاب الهائل ، وقد أشار الله سبحانه وإلى ذلك في كتابه العظيم ؛ فقال : "وَادْكُرُوهُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُثُّمْ أَعْدَاءٌ فَأَلَّفُتَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْתُمْ عَلَى شَفَا حُمْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعْلَكُمْ تَهْتَدُونَ" (آل عمران/١٠٣).

من هنا تتوزع حياة الإنسان بين دافعين اثنين من السلب والإيجاب ، بين "نعم" للأخوة الإيمانية ، و "لا" لشقاء العداء والبغض ، وتركزت توجهات الإسلام كلها على الجانب الإيجابي - توقياً من الجانب السلبي الذي خصه الله تعالى بالكفر والعصيان وما يليهما من طاعة النفس والشيطان - في ضوء تعاليم الإسلام التي تتولى إيجاد حياة عادلة متزنة جامحة ، ترتبط بالشئون المادية والمعاشية حسب توجيهات الإسلام في جانب ، وفي جانب آخر تكون علاقتها بالإعدادات الالزمة لحياة الآخرة وطيدة ، وإن تعاليم الدين مشروحة مذكورة بغاية من الوضوح والتفصيل في كتاب الله تعالى وسيرة الرسول الحبيب الشاملة ، وتلك هي الطريق المهدى لصناعة الإنسان الكامل الذي يتميز بالجامحة والوسطية اللتين أشار إليهما الله سبحانه في كتابه العظيم ؛ فقال : "وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبِّا

أَتَنَا هُنَيْدًا حَسَنَةً ◆ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ◆ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ،  
 (البقرة: ٢٠١) وَقَالَ : "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى  
 النَّاسِ لِيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" . (البقرة: ١٤٣)

وعلى هذا الجسر ينتقل المرء من الرذائل والمنكرات إلى جانب الفضائل والطاعمات ، ولذلك فإن لمحنة هذا الانتقال تعتبر في غاية من الحرج والدقة ، إذ أن أدنى خطأ فيها يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه ، وإن ما نراه اليوم من التدلي في الأخلاق والانحطاط في الفكر ثم السقوط إلى مستوى البهائم والوحوش في المجتمعات الإنسانية ليست إلا نتيجة خطأ - سواء من تعمد أو غفلة - في تقدير المقاييس وتعيين موازين الأمور ، الأمر الذي يحول الإنسان سبعاً ضارياً وشبيحاً مخيفاً للغاية ، فلا يبالي بما يصدر منه من أعمال ونشاط لا يتفق وطبيعة جنس الإنسان بل وطبيعة الحيوان أيضاً ، وإذا به يتسلل في خدمة ذاته إلى أسفل درك ، ويحطم جميع القيم الخلقية ويدوسها بالأقدام تحقيقاً للمصالح الشخصية والأغراض التافهة ، بالتعدي على الآخرين والتجاوز عن جميع حدود الشرف الإنساني ، فلا يبالي بالقتل والفتوك ونقض القوانين والإساءة إلى الناس وهتك الأعراض ، والانتهاك بالحرمات وبذلة اللسان ، وما ذلك إلا مجرد انحلال قبضة الدين على الحياة ، وانحراف مسارها وجفاف ينبوع الخلق الإيماني ، ويعتبر آخر : ليس كل ذلك إلا نتيجة غفلة فحسب ، ولكن مرجعه سوء التربية وصحبة الفاقدين روح الموضوعية والغاية الأسمى التي أكرم بها الإنسان ، ولم يكن شيئاً مذكوراً : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَّ الْدَّهْرُ ◆ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ◆ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْسَاجَ بَنْتَيْهِ ◆ فَجَعَلْنَاهُ سَمِينًا بَصِيرًا ◆ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) . (الدهر: ١ - ٣).

يقال : إن العصر الذي نعيش فيه اليوم إنما هو عصر العلوم والمعارف وعصر التعديلية الحضارية والصناعية ، وعصر ازدهار التقنية



الحديثة التي فتحت للإنسان الحديث آفاقاً جديدةً وطريقةً للوصول إلى أسرار الكون وأغوار الحياة وحقائق الخلق والأمر ، إن هذا الواقع يرهن على وجود قدرة الله تعالى الخارقة في الكون والإنسان والحياة ، وكيف لا ، فإن قليلاً من التعمق في دراسة الكون والتدبر في اتساع السماوات والأرض والبر والبحر ، وما في الفضاء وداخل الأرض وأعماق البحار من عجائب قدرة الله تعالى ، يملأ القلب إيماناً وخشوعاً يدفعان المرء إلى ذكر الخالق العظيم والسجود أمام كبرياته ، وقد سجل التاريخ قدি�ماً وحديثاً قصص أولئك الرجال الذين شفّلتهم دراسة الطبيعة ، وعالم البحث عن مزيد من أسرار الخلق وحقيقة الذات الإلهية ، فلم يلبثوا إلا وخرعوا أمام قدرة الله تعالى التي لا نهاية لها ، ودخل في قلوبهم الإيمان فأشهروا إسلامهم من غير خوف لومة لائم وعاشوا سعداء .

وبناءً ذلك ندرك أفراداً وجماعات تقتفي إلى الإسلام أبداً عن جد ، ولكنها تستغل الإسلام لأغراض تافهة شتى ، طمعاً في كسب شهرة أو أجرة ، أو في منصب موهوم فحسب ، دون أن تمثل قاعدة الإسلام ومنهجه العملي الكامل للحياة ، وأمثال هؤلاء الأفراد والجماعات في غنى عن التعريف وقد ظهرتاليوم جماعة "بوکوحرام" في شمال نيجيريا ، التي قامت بخطف أكثر من مائة طالبة فتاة حتى تدخلت أمريكا في الموضوع، وذلك لا يعني إلا الإضرار بالإسلام والنيل من كرامة المسلمين وتشجيع القوى المضادة على الاستمرارية في الإساءة إلى دين الإسلام ، أليس ما يجري اليوم في معظم بلدان ودول العالم الإسلامي في اليمن والجزائر والعراق والشام وأفغانستان وفي الهند وباكستان ودول جنوب شرق آسيا من ظروف شاذة مما يؤكّد الخطير الداهم المستقبلي الذي ينذر بتوزيع وحدة الأمة وتمزيقها ، وإذابة الحياة والمجتمع في تيار المادية والأغراض المهزيلة التي لا تمت إلى الإسلام وتعاليم الدين بأيّ صلة وفي أيّ زمان ومكان ، ألا ترى - أيها القارئ الكريم - ما قد تم إعداده من

الوسائل، ولا يزال ، لإزالة المقدسات الإسلامية ومحو وجودها في بلاد الإسلام نفسها ، وما قصه المسجد الأقصى بسر ، بتوسعة وتعظيم الحفريات حوله ، ومنع المسلمين عن الصلاة فيه حتى تتحقق العزائم النجسة التي يتولاها الصهاينة منذ مدة طويلة ، وذلك عدا ما يعني سكان فلسطين والضفة الغربية من ظروف الاعتداء والظلم والقمع والتشريد ، والحسار والتجويع .

ثم هناك جهود مضنية تبذل لإحداث مشاكل ومعاضل في المجتمعات المسلمة على المستوى العالمي والمحلّي كليهما ، وذلك يدل على إضعاف المسلمين عن العيش في ظل الإباء والحب والسلام ، وفراهم عن التفكير في حل مشكلاتهم وقضاياهم ، ويدل على الانسحاب عن ميدان الحياة وتسلیم زمام القيادة في جميع المجالات لآخرين ، ولا ريب أن هذا الوضع المخزي نتيجة الفتن المظلمة التي يبيع فيها المرء دينه بعرض من الدنيا ، يتضمن ذلك بعض تلك الخدمات الدينية التي ينجزها أفراد وجماعات من المسلمين ، وتكون نتيجة للوضع السائد ، وعادة من العادات المعمول بها ، قد لا يكون لها تأصيل مطلوب ، فلنكن حذرين من الإرهاصات التي تؤكد مستقبلاً مظلماً للمجتمعات المسلمة ، وقد تبيّنت آثار ذلك على المستويات الفردية والجماعية ، وفيه أساليب الحياة في كل مكان ، ولذلك فإن مستقبلنا نحن المسلمين لفي ظلام من الجهل والأنانية وفقدان الوعي الديني الذي ينذر بشر مستطير، لعل الله تعالى أشار إلى ذلك ؛ فقال : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَذِّبُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأْنَ بِهِ فَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ فَخَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فَوْلَدِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) . (الحج: ١١)

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

رسير الفويس

سعید الاعظمي التندوی

١٤٢٥/٧/١٤

## الأركان الخمسة في القرآن الكريم

(٢١)

بتقلم: ساحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني النبوى

تعریف: محمد فرمان التدوی

الإيمان : إن أساس عقيدة التوحيد الإيمان بالله ، وهو منبع الأعمال ، فيكون نواة لتطبيق الإسلام على أحسن وجه ، وإن نطاق الإيمان في الإسلام أن يؤمن الإنسان بالله كإله واحد ، وبرسله من آدم إلى محمد ﷺ وملايكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره (وهي أمور ثابتة من الله تعالى) ، إيماناً من صميم القلب ، فهذا الإيمان يكون أساس شاطئاتنا وأعمالنا كلها ، فليس هناك دعامة أقوى منه للأعمال الإنسانية ، فإذا نشأ الإيمان في القلب أشرق القلب ، وكان معين الحياة الإنسانية السعيدة ، وإذا فقد الإيمان تسكم الإنسان في كل وادٍ ، وأصبحت حياته لا تحمل رسالة ولا تكون آمنة مطمئنة .

الإيمان يعين غاية الحياة ومنتهاها ، وهي أن الإنسان خلق لمهمة خاصة ، وهذه المهمة تتلخص في عبودية الله وأداء أوامره ، شكرًا على ما أنعم الله به من الحياة ونعمتها ، قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات/٥٦) ، ومن آثار العقيدة على الحياة الإنسانية أن الإنسان إذا تغلغل في قلبه الإيمان بأن خالق هذا الكون هو الله وحده لا شريك له ، نشأ فيه الثقة أننا تحت كيلاً وعانياً خالق الكائنات والمخلوقات ومالكها ، وأنه وعد عباده برحمته ، فالإنسان يتوجه إلى الله مفعماً بهذا الشعور ، ويعبده ، ويعلق آماله به ، وهذا يعرف بأساس الأخلاق والأعمال الإنسانية ، وإنه لا تحدث الموضوعية وقوه التأثير في الأعمال إلا إذا آمن الإنسان بالله ورسوله ﷺ إيماناً

صادقاً ، لأن مدار جميع أعمال الإنسان الإيمان ، فأول ما أكد عليه القرآن هو الإيمان به ، قال الله تعالى : "إِنَّمَا ذَلِكَ الْكِتَابُ لِأَرْبَيْبِ فِيهِ مُهْدِيٌّ لِلْمُتَّقِينَ ❀ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْقَيْمَ ❀ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ ❀ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفَقُونَ" (البقرة/٢-٣) .

من معجزات الإيمان أن العرب الذين كانوا أميين ، يعيشون عيشة البهائم صاروا حملة لواء العلم والثقافة ، واستفادوا من قوة الإيمان فحكموا جزءاً كبيراً من الأرض ، ولا شك أن الإيمان يحدث في قلب الإنسان ثورة إصلاحية .

هذه الكائنات مثل مملكة ، مالكها الله عزوجل ، وهو مدبرها ، فالرسول ترجمانها ، والقرآن دستورها ، فكل رجل يعترف بقدرته يجب عليه أن يمتثل أوامره ، بصورة امثالي أوامرها أن يقوم بأداء الصلاة والصيام والحج والزكاة ، ويصوغ حياته في قالب الكتاب والسنة ، وإن الكتاب والسنة هما مصدراً أساسياً للإيمان ، تتكون منها الحضارة الإسلامية ، ويكون قلب الإنسان مستيراً بالعمل بتعاليمهما . إن عقائد الحضارة الإسلامية تزين قلب الإنسان في جانب ، وتسدّد حياته المادية في جانب آخر ، ذلك أن الإنسان إذا وافق قوله عمله ، ونشأ فيه طهارة القلب وصدق العمل ، والطهر والعفاف ، والأمانة ، والحياء والعدل وإيفاء العهد ، والغفو والصفح ، وعزّة النفس صلح المجتمع بأسره ، وتبدل المجتمع غير المجتمع ، الذي تتلاشى فيه الخيانة والقدر ، والتطفيق في الكيل والوزن ، والسيئات ، والغيبة والرشوة وادخار الأموال ، والانتهازية ، وهذا لا يمكن إلا إذا آمن الإنسان بالله ورسوله ﷺ إيماناً كاملاً .

وعلى هذا المنوال يصلح الإيمان المجتمع ، ويدعم قوته العملية ، وجاء التأكيد في القرآن في مواضع شتى ، وبأساليب متنوعة على التخلص بهذه الصفات الحسنة المذكورة أعلاه ، والابتعاد عن الصفات القبيحة ،

وذكر فيه أن الحياة الآخرة حق ، يحاسب فيها الإنسان على أعماله (١).  
الصلة :

إن منهج الإيمان والأعمال الصالحة قد شرحته أول الأنبياء أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام في فجر التاريخ الإنساني ، وقد حدث فيه تغيير على مر العصور بتأثير التصورات المنحولة والآراء الشاذة ، فجعل يظهر في أشكال باطلة من الشرك وعبادة الناس لغير الله ، وأرشد الله الناس بأنبيائه عليهم السلام إلى صور العبادة في ضوء العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد ، وهي تختلف بعض الاختلاف نظراً إلى ملابسات أممهم ، وبما أن النبي الكريم ﷺ آخر الأنبياء والرسل ومبلغ الدين الكامل الشامل ، فقد أرسى الله سبحانه وتعالى به قواعد العبادة ، فهي تمثل جانباً بدنياً ، كما تمثل جوانب فكرية ومالية ، وعین أربعة أركان ، منها الصلوات الخمس ، التي جمع فيها أربع صور من القيام والركوع والسجود والقعدة ، ومنها الصيام الذي هو كبت غرائز الجسم لمدة محددة ، ابتناءً لرضاء الله تعالى ، ومنها الزكاة ، إذا زاد المال من الحاجة فإخراج مقدار خاص لذوي الحاجات والفقراة ، يجعل مصارف المال وموارده وفقاً لأمر الله تعالى ، وإنفاقها حسب الحاجة على المحتاجين ، ومنها الحج ، الذي يقوم به العبد في خير بقاع الأرض الكعبة وبيت الله الحرام بمكة المكرمة ، ويبدي فيه عواطف الحب والعظمة والتقديس ، فجعل الارتحال إلى هذا المكان عبادة وقرية إلى الله تعالى ، وأمر بأن الحج فريضة على كل من استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فالإنسان مطالب بأن يطبق هذه العبادات كعلامة لعقيدة التوحيد والطاعات الريانية ، قال الله تعالى : "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ" (المائدة/٩٧) ، وقال : "وَمَنْ يُعَظِّمْ شَفَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ" (الحج/٣٢).

فتعود المسئولية على الإنسان أن يقدم أمام ربه آيات الخضوع

والاستسلام شكرًا على نعمه التي منحها رب العالمين إياه وفضله بها على كثير ممن خلق تفضيلاً ، وإن ما يمتاز به الإنسان من مكانة عالية نحو المخلوقات يتطلب أن تكون عبادته رفيعة المستوى وجامعة للصفات المطلوبة ، وهذا ما يحصل كثيراً في الصلاة .

إن أول الأركان الأربع المذكورة أعلاه الصلاة ، التي يجب أداؤها لكل مسلم على كل حال ، وتحقق بها الغاية الأصلية الأساسية للعبادة ، فال الحاجة ماسة إلى أن نفهم الصلة بين العبد والرب للإطلاع على أهمية الصلاة وكيفيتها .

#### العلاقة بين الرب والعبد :

"تأمل في صفات الرب التي سبقت ، من قوة وقدرة ، وعلم وخبر ، ورحمة ولطف ، وكرم وجود ، واستجابة وقبول ، وقرب لا مزيد عليه ، وبكل ما نطق به القرآن من صفات الله العليا ، وأسمائه الحسنى ، وبكل ما جاء به في ذلك من العجب المطرد ، من النعوت والأوصاف ، والأخبار والآثار .

ثم تأمل في صفات هذا الإنسان المخلوق ، واستعرض كل ما تتصف به ، من ضعف وعجز ، وفقر وفاقة ، ثم انظر إلى طموحة الذي لم يعرف لأي مخلوق ، ونهامته - للماديات أو المعنويات - التي تفوق كل شره ونهاة عند أكبر حيوان ، وإلى حاجاته التي لا يشاركه مخلوق آخر في كثرتها وتتنوعها ودقتها ، وإلى آماله ومطامعه التي لا تكاد تنتهي ، ثم انظر إلى غريزة الحب والحنان ، والخضوع والانحناء المودعة في هذا الإنسان .

أما احتاج هذا الإنسان إلى أن يكون في خضوع دائم ، وفي ركوع أو سجود لا انقطاع لهما ، وفي مناجاة ودعاء لا نهاية لها ، أمام رب الذي هو الإله الحق والجواب المطلق ، والذي أعطاه من كل ما سأله بلسان القال أو بلسان الحال ؟ "وَآتَيْكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمْ" ❦

وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِنُوهَا" (ابراهيم/٢٤) والذي يعلم الخواطر ، الدقيقة الدفينة ، والأمانى المؤذنة المنسية أو الأحلام القديمة المطمورة ، التي نسيها الإنسان أو تخلى عنها أو يئس من تحقيقها ، والتي قد يغافر عليها القلب فلا يشرك فيها العقل : "وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمُرْءَ وَقَلْبِهِ" (الأنفال/٢٤) "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ" ❀ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ" (المون/١٩) "وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ" ❀ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفَى" (طه/٧) والذي هو أقرب من كل قرب ، والذي هو دائمًا سميح مجتب : "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّي  
فَبَأْيِ قَرِيبٍ" ❀ أَجِيبُ دُعَوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ❀ فَلَيَسْتَجِيبُوا لِي ❀  
وَلَيُؤْمِنُوا بِي لِعَلَاهُمْ يَرْشَدُون" (البقرة/١٨٦) "وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا وَنَعْلَمُ مَا  
ثُوَسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ ❀ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" (ق/١٦) "وَتَحْنُ  
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ" ❀ وَلَكِنْ لَا تُبَصِّرُونَ" (الواقعة/٨٥) والذي كان  
السائل الملحق ، والداعي المتثبت ، أحب إليه من أبي ممتنع ، وصادمت  
مستفن : "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" ❀ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ  
عَنْ عِبَادَتِي ❀ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" (المون/٦٠) "أَدْعُوكُمْ رَبِّكُمْ  
تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً" ❀ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُغَنَّمِينَ" (الأعراف/٥٥) ، ويقول رسول  
الله ﷺ : "وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ يَفْضُبْ عَلَيْهِ" (٢) .

### الكون في خضوع دائم وعبادة مستمرة :

لقد ظلت الشمس مشرقة وهاجة منذ كان هذا الكون ، تنشر  
النور وتمنح الحياة والحرارة ، وظل القمر سراجاً منيراً يُنير السبيل  
ويحدد الشهور والسنين ، وقد انتصب الجبال قائمة من آلاف السنين  
تبليغ رسالتها ، ووقفت الأشجار على قدم وساق ، وافرة الثمار وارفة  
الظلال تعبد رب وتخدم الإنسان - سيد هذا الكون وخليفة الله في  
أرضه - وانطلق الهواء يحمل رسالة الحياة لهذا الإنسان ، وهببت الرياح  
لواحة تحمل أمانة الماء من جهة إلى جهة ، وسارت السحب تحمل الأمطار  
وتحفي الأرض بعد موتها ، وجرت الأنهر تروي ظمآن الإنسان وتسقي

الزروع ، وتنير دفائن الأرض ، ومشت الحيوانات والدواب على أربع ، كأنها في ركوع دائم تنقل الإنسان من مكان إلى مكان ، وتحمل الأثقال ، وله فيها دفء ، ومنافع ، ومطاعم ومشارب ، وزحفت كثير من الحيوانات على صدرها وبطنها فيها مأرب للإنسان .

فهذه المخلوقات التي لا عقل لها ولا قلب ، في عبادة دائمة ، في طاعة وخضوع لأمر الله تعالى ، فلا عصيان ولا ثورة ، ولا تمرد ولا جموح ، ولا ملل ولا سامة ، ولا إضراب ولا انقطاع عن العمل ، ولا راحة ولا عطلة ، فكأنها دائمًا في السجود : "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ❀ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ ❀ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ❀ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ❀ وَمَنْ يُهِنَّ اللَّهُ ❀ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ❀ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ" (الحج/١٨)، "وَلَلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَبَابٍ ❀ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكِبُرُونَ ❀ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ❀ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ" (النحل/٤٩-٥٠)، "وَلَلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ❀ وَظَلَالُهُمْ بِالْغَدُوِّ وَالآصَالِ" ، (الرعد/١٥) "الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ❀ وَالنُّجُومُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُان" ، (الرحمن/٦) "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ❀ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ❀ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْمَرَادِ رِزْقًا لَكُمْ ❀ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ❀ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ❀ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ دَائِبِينَ ❀ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ❀ وَآتَاهُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلُوكُمْ ❀ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِنُوهَا ❀ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كُفَّارٌ" (إبراهيم/٣٢-٣٣-٣٤) .

فهذه المخلوقات على اختلاف أنواعها وعلى تنوع عباداتها في صلاة ، تتفق مع طبيعته وظيفتها ، وفي حمد وتسبيح ، لا يفتقهما إلا من فتح الله بصيرته ورفع عنه الحجاب : "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبَعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ❀ وَإِنْ مَنْ شَيْئَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ❀ وَلَكِنْ لَا

تَفْقِهُونَ تَسْبِيْحَهُمْ ◆ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (بني إسرائيل/٤٤)، "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالظَّيْرُ صَافَاتٍ ◆ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيْحَهُ ◆ وَاللَّهُ عَلِيْمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ" (النور/٤١).

مركز الإنسان في هذا العالم وما يقتضيه ، وسبب تميزه عن سائر الكون في العبادة :

لقد كان الإنسان بشرفه واحتياصاته ، وعقله وقلبه ، أحق من جميع هذه المخلوقات التي سبق ذكرها ، بأن يكون في عبادة دائمة لا انقطاع لها ، من قيام وركوع وسجود ، ومن حمد وتسبيح وذكر لا يفتر عنه لسانه ، وقد كانت الهبات التي اختص بها ، والعنابة الإلهية التي كان موضعها ، والنعم التي تدفقت عليه ونزلت كالطار الفزير ، تقتضي أن لا ينقطع عن هذه العبادة ، ولا ينصرف عن هذه (الصلوة) طرفة عين ، وأن يكون كالملائكة الذين وصفهم الله بقوله : "وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ◆ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ◆ وَلَا يَسْتَخِرُونَ ◆ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ" (الأنبياء/٢٠-١٩).

ولكنه اختيار ليكون خليفة الله في أرضه ، وهيئ لهذا المنصب ، فخلقت فيه الشهوات ، ووضعت فيه الحاجات ، وأودعت فيه المشاعر والأحساس ، والعواطف والرغبات ، وأودع فيه الحب والحنان والرقة ، والتألم واللتذاذ ، وضع فيه الاستعداد للمعرفة ، واستخدام ما خلقه الله في هذه الأرض وبشه من دفائن وخرائب ، ونعم وخيرات ، وقوى وطاقات ، وكان تعليم الأسماء الذي خص به من دون الملائكة رمزاً لهذا الاستعداد الفطري ، ومظهراً من مظاهر الخلافة الأرضية ، ومفتاحاً من مفاتيح الاتصال بهذا الكوكب الذي منح إمارته والتصرف فيه ، فقال تعالى : "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ ◆ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ◆ قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ◆ وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ ◆ وَتَحْنَنُ سَبَبُجُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ ◆ قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ◆ وَعَلِمْ آدَمَ

الأسماء كلها ◆ ثم عرض لهم على الملائكة ◆ فقال : أئبُّونِي بأسماء هؤلاء إن كُنْتُم صادقين ◆ قالوا : سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْنَا ◆ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ◆ قال : يَا آدَمُ أَنْبِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ ◆ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ◆ قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ : إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ◆ وَأَعْلَمُ مَا تَبَذَّلُونَ ◆ وَمَا كُنْتُمْ تَكُنُّونَ" (البقرة/٣٢-٣٠) ، وقال : "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" (البقرة/٢٩) ، وقال : "قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ" (الأعراف/٣٢) .

فكان اختياره لهذا المنصب الخطير ، وكانت خلقته التي طابت هذه الغاية وخضعت لها ، وكان قيامه بواجبه ك الخليفة في الأرض ، كتبته له الوصاية على خيراتها وطاقاتها وتباين أن يكون في قيام دائم ، أو في ركوع دائم ، أو في سجود دائم ، أو في تسبيح لا ينقطع ، وفي ذكر لا يفتر، شأن الأجرام الفلكية ، أو الجبال الجامدة ، أو النباتات الساكنة ، أو الحيوانات العجماء ، فإذا حاول ذلك أو التزمه ، أقام الدليل على إخفاقه وخيبته ، ك الخليفة الله في الأرض ، وصدق ما قالته الملائكة وبرر ترشيحهم أنفسهم لهذا المنصب الجليل ، على أساس التسبيح والتحميد والعبادة الدائمة .

#### عبادة مطابقة لوضعه الخاص ومركزه الدقيق :

إذا كان لابد من عبادة تليق بفطرته وبمنصبه ، ومركزه في هذا الوجود ، والمهمة التي أقيمت على عاتقه ، والواجبات التي يجب أن ينوه بها ، فكان لابد من عبادة لأنها مقتضى الفطرة ، ونتيجة الفريزة ، ونداء الضمير ، واجب الشرف ، وحاجة الإنسانية ، وغذاء القلب ، وكان لابد أن تكون هذه العبادة مطابقة كل المطابقة لوضعه الخاص ، ومركزه الدقيق ، وموقفه الفريد ، وأن يكون لباساً قدر فضل على

قامته ، وعلى قدر حاجته .

لباس فضل على قامته :

فكانت الصلاة المفروضة هي اللباس المفضل على قامته من غير طول وفضول ، ومن غير قصر وضيق : "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ◆ وَهُوَ الظَّلِيفُ الْخَبِيرُ" (الملك ١٤) ، "إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَنَا بِقَدْرٍ" (القمر ٤٩) .  
الأركان الأربعة للعلامة التدويني : من ٢٢-١٧ ، طبع دار القلم الكويت عام ١٣٨٩ هـ

### الزكاة والصدقات :

الركن الثاني : لتقديم ضريبة العبودية إخراج الزكاة والصدقات ، فالزكاة شكر للنعم المالية من الله تعالى ، يخرجها الإنسان شاكراً للمن恩 المالية من عند ربه ، وهي تجب على مقدار معين من أنواع المال المختلفة ، إذا زاد المال من الحاجة فرضت الزكاة عليه ، وقد عين حد يفضل عن الحاجة ، وخصوصاً مقدار قليل للزكوة ، مثلاً إذا زاد المال من الحاجة وحال عليه الحول عند رجل ، فيجب إخراج الخمس من الزكوة ، وقد وضفت حدود ومقداديـر تختلف باختلاف أنواع المال ، والزكوة فريضة ، فجاء الترغيب في الصدقات سوى الزكوة ابتناءً لوجه الله تعالى ، فلم يحد لها حد ، ولم تفرض كفريضة ، فكانت الزكوة والصدقات مع إظهار العبودية علامـة لمواسـة المنكوبـين من الناس ، وهي صورة مرضـية عند الله تعالى ، لذلك أتبـعـتـ الزكـوة بعد الصلاة ضمن اختيار عبادة الله سبحانه وتعالـي .

"وحين كانت نتيجة الزكوة فشوّ روح المـواسـةـ والـكـرمـ فيـ المجتمعـ ، وانتـشارـ الفـنىـ فيـ أـعـضـائـهـ ، والـبرـكـةـ فيـ الأـموـالـ ، والأـلـفـةـ فيـ القـلـوبـ ، والـتحـابـ فيـ النـفـوسـ ، والـثـقـةـ بـيـنـ الـأـفـرـادـ ، كـانـتـ نـتـيـجـةـ الـرـياـ تـكـدـسـ مـالـ الـجـمـعـ ، وـحـصـيـلـةـ جـهـودـ أـعـضـائـهـ فيـ مـكـانـ وـاحـدـ ، أوـ فيـ فـردـ وـاحـدـ ، أوـ فيـ أـفـرـادـ فيـ أـقـلـ عـدـدـ مـمـكـنـ ، فـكـانـ الـمـرـابـيـ فيـ هـذـاـ الـجـمـعـ ، هوـ الـحـوضـ الصـفـيرـ الـذـيـ تـتـهـيـ إـلـيـهـ جـمـيعـ السـوـاقـيـ فيـ هـذـاـ

البلد ، ويبقى من غير ماء ، أو كجبل المغناطيس الذي جاءت قصته في رحلات سندباد البحري في (ألف ليلة وليلة) الجبل الذي يقال أن سفينته رماها الطوفان إليه ، فجعل الريان يبكي وينوح ، فسئل عن السبب ، فقال : ابتلانا الله بجبل المغناطيس الواقع في هذا البحر ، وأنه سيجر جميع المسامير الحديدية ، فتحطم السفينة وتتاثر الواحها وأجزاؤها ، فيلقنها البحر ، وكذلك كان ، فالمرابي ، أو جماعة المربين في بلد يملكون ذلك المغناطيس والمال ، الذي يجذبون به جميع المسامير والروابط التي تربط أجزاء الحياة وقوائمه ، بعضها ببعض ، فتتاثر هذه الأجزاء ، وتفتك هذه العرى والروابط ، وينزف جسم المجتمع دمه القاني الأصيل ، ويُصاب بالسل الخلقي والاقتصادي ، فإذا عاش ، عاش مسلولاً مشلولاً ، وإذا مات ، مات حزيناً سليباً .

وذلك نتيجة الريا : التبغض بين الأفراد ، وزوال الثقة المتبادلة في المجتمع ، وفسو روحاً السخط والتشاؤم ، والشماتة بين المتعاملين بالريا ، وبين الفقراء والأغنياء ، وجود طبقتين متميزيتين تماماً التميز، كانت إحداهما من جنس البشر، والأخرى من الحيوانات والدواجن ، وهما طبقة الأثرياء ثراءً فاحشاً ، وطبقة الفقراء فقرًا مدقعاً .

لذلك يذم القرآن الريا ذمًا شديداً ، ويُشنّع عليه ويُقبح تصويره ، بمقدار ما يمدح الزكاة ويبحث عليها ، بل قد يكون تشنيعه على الريا ، وذمه له أقوى وأعنف ، من مدحه للزكاة والصدقات ، وذلك أسلوب القرآن الحكيم في العقائد المنحرفة ، والأخلاق الدمية ، والأعمال القبيحة ، وكانت صيغته لذم الريا ، وعباراته فيه من أشد أساليب الذم والإنكار ، وأفظعها ، الأسلوب الذي تشعر له الأبدان ، وتنخلع منه القلوب ، وهو قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذْ آتَيْنَاكُمْ أَنْقُوفَ اللَّهِ وَدَرُؤُوا مَا بَعْدَيْنَ مِنَ الرِّبَّا ❀ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ❀ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ❀ فَأَذْنُوْنَا بِحَرْبِنَا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ❀ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَا كُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ❀ لَا تَظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ"

(البقرة/٢٧٩-٢٧٨) ، وصور آكل الربا تصويراً دقيقاً يشير المقت والكرامة في نفس القارئ المؤمن ، فيقول : "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ النَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" ◆ ذلك بتأثيم قالوا إنما البيع مثل الربا ◆ وأحل الله البيع وحرم الربا ◆ فمن جاءه موعظة من ربِّه فانتبَّهَ ◆ فله ما سلف ◆ وأمره إلى الله ◆ ومن عاد ◆ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" (البقرة/٢٧٥).

وقد قارن القرآن بين الربا والصدقات ، وأثارهما ونتائجهما ، في أكثر من موضع ، فقال في إيجاز ، هو الإعجاز ، وفي لفظ يحتاج تفسيره إلى مجلد ضخم ، وإلى استعراض تاريخ علم الاقتصاد ، وما آل إليه أمر البلاد والمجتمعات التي عاملت بالربا ؛ فقال : "يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ" ◆ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كُفَّارٍ أَئِيمَّةً" (البقرة/٢٧٦) ، وقال : "وَمَا أَئِيمَّةٌ مِّنْ رَبِّا لَيَرْبِيُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ" ◆ فَلَا يَرْبِيُوا عِنْدَ اللَّهِ ◆ وَمَا أَئِيمَّةٌ مِّنْ زَكَاةً شَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ◆ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ" (الروم/٣٩).

وكذلك فعل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم -  
وكان خلقه القرآن - فمدح الزكاة والصدقات ، وذكر آثارها ونتائجها في المال وفي جماعة المسلمين ، وقد مررت الأحاديث التي وردت في البركة في المال الذي يتصدق منه ، وإعانته العبد المتصدق من الله ، وبالعكس من ذلك ، أنذر على منع الزكاة بالعقوبة العاجلة في الدنيا ، فقد روى بريدة عنه ، قال : "ما من قوم الزكاة إلا ابتلتهم الله بالسنين" (٣).

وهكذا أنذر على الربا والمعاملة به بالعقوبات في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، فقال : "ما من قوم يظهر فيهم الربا ، إلا أخذوا بالسنة ، ما من قوم يظهر فيهم الرشا ، إلا أخذوا بالرعب" (٤) ، وقال : "لعن الله آكل الربا ، وموكله وكاتبته ، ومانع الصدقة" (٥) ، وعن أبي هريرة رض قال : "قال رسول الله ص : أتيت ليلة أُسري بي على قوم ،

بطونهم كالبيوت ، فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الريا" (٦) ، وقال : "إذا أراد الله بقرية هلاكاً أظهر فيهم الريا" (٧) .

ومن اطلع على تاريخ المجتمع الإسلامي ، ودرسه من الناحية الخلقية ، ومن ناحية تطبيقه للأحكام الشرعية ، والأوامر الإلهية ، وما جر ذلك عليه من يمن وبركة ، وأمن وسلامة ، وسعادة ورخاء ، وإخلاله بالشريعة ، وتطليله للحدود والفرائض ، وما جر ذلك عليه من بلاء وشقاء ، ومن ضيق وضنك ، صدق هذه الأخبار النبوية الصادقة ، وهذه الأحاديث الواردة ، وصدق الله العظيم : "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكْرِ وَأَئْشِيْ فَوَهُ مُؤْمِنٌ فَلَنَجْعِيَّتَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل/٩٧) ، وقال : "وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذَكْرِيْ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى" (طه/١٢٤) .

الأركان الأربع : ص/١٢٤-١٢٧

♦♦♦

### المواضيع :

(١) محاضرات القرآن - للدكتور السيد وقار احمد الرضوي : ص/٦٥-٥٦ .

(٢) رواه الترمذى عن أبي هريرة عليه السلام "كتاب الأدعية باب ما جاء في فضل الدعاء" .

(٣) للأوسط .

(٤-٥) رواه الحاكم في المستدرك ، والنمسائي في السنن .

(٦) رواه أحمد وابن ماجه .

(٧) كنز العمال مروياً عن أبي هريرة : ج/٢ ، ص/٢١٢ .

## التوازن النفسي شرط الإبداع والتميز

بتكلم : الدكتور إسماعيل لطفي جافاكيشا  
رئيس جامعة جالا الإسلامية، جنوب تاييلاند

إن الحمد لله نحمه ، ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، وننحو بالله من شرور أنفسنا وسعيّات أعمالنا ، مَن يهدِه الله فَلَا مُضَلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضَلِّ فَلَا هَادِي لَهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، الذي افتحَ حُطْبَه بخِيرٍ ما يذكُرُ أمتَه بِالاستعاذه من الشرور الكامنة في النفس الإنسانية : "وننحو بالله من شرور أنفسنا وسعيّات أعمالنا" (١)

اللهم صلّ وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وبعد :  
فإن التوازن النفسي للإنسان يعني استقامتها وسلامتها من الاضطراب والخلل ، وتوازنها السكينة والطمأنينة والوقار .

وللإنسان غرائز لها رغبات لابد أن يقضيها بالحلال كانت أم بالحرام .. بالعدل أو بالظلم ، وفي مقابلها ملائكت تمثيل إلى الكمال والسمو ، فيحدث التنازع بين طبيعة الغرائز وزرواتها وبين طبيعة الملائكة ومivoالها ، فإذا مالت النفس إلى طرف من طرفي النزاع داخل الإنسان حدث الخلل وعدم التوازن .  
والنفس البشرية بطبيعة خلقتها سوية مستقيمة ، أي أنها سوية مستقيمة طاهرة بأصل الخلقة ، ومع ما داخل الإنسان من تناقض جسدي غرائي ، وملائكت روحية .

فظلم الغرائز على حساب الملائكت ظلم يحدث معه عدم التوازن ، ومن الجانب الآخر ظلم الملائكت على حساب الغرائز نزول وتدنٌ من مستوى البشرية إلى مستوى الأنعام ، يقول سبحانه وتعالى : "أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ◆ أَفَأَئْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ◆ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقُلُونَ ◆ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامُ ◆ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" (الفرقان/٤٤-٤٣) .

فالمنفلاة في جانب من جوانب النفس فجور ، والاعتدال والتوازن

استقامة وتقوى .

والتقوى الشرعية الصحيحة المرادة ، والله أعلم ، تلك التي جسدها رسول الله ﷺ في واقع حياته ؛ للحديث عن الرهط الثلاثة ، حيث قال ﷺ : "أما والله .. إني لأشاكم الله وأنتاكم له ، لكنني أصوم وأفطر ، وأصلب وأرقد ، وأنزوج النساء" ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن الدين الإسلامي لا يقر ما دعّت إليه الديانات والفلسفات الأخرى من إهمال الحياة المادية لأجل الحياة الروحية ، ومن حرمّان البدن وتعذيبه حتى تصفو الروح وترقى ، ومن إهدار شأن الدنيا من أجل الآخرة ، فقد جاء - كذلك - بالتوازن في هذا كله : "ربّنا آتينا في الدنيا حسنةٌ وَّفي الآخرة حسنةٌ وَّقُتنا عذابَ النَّارِ" (البقرة/٢٠١) ، وفي دعائه ﷺ : "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمةُ أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي" .

تلك هي الأسوة الحقيقية لائزان النفس التي وهبها الله لنبيه الكريم ﷺ ، كما وصفتها عائشة رضي الله عنها ، عندما سُئلت عن أخلاق رسول الله ﷺ : فقالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ قول الله عزوجل : "إِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ" ، فقال السائل : فلاني أريد أن أتقتل ، قالت : "لا تفعل .. أما تقرأ : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ" ، فقد تزوج رسول الله ﷺ وقد ولد له" ، فمن اتصف بخلق القرآن فقد ائزن .

#### السکينة أساس الاتزان النفسي :

يقول ابن القيم رحمه الله :

وأصل "السکينة" هي الطمأنينة والوقار والسكنون الذي ينزله الله في قلب عبده ، عند اضطرابه من شدة المخاوف ، فلا ينزعج بعد ذلك لما يردد عليه ، ويوجب له زيادة الإيمان ، وقوّة اليقين ، والثبات .

و "السکينة" إذا نزلت على القلب اطمأنّ بها ، وسكنت إليها الجوارح ، وخشعّت ، واكتسبت الوقار ، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة ، وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش ، واللغو والهجر ، وكل

باطل (٢) .

عندما باشرت السكينة قلب عبد تجلّى فيه روحٌ ونورٌ وقوةٌ؛ فبالروح الذي فيها حياة القلب، وبالنور الذي فيه استثناءُ الطريق واهتداءُ السبيل، وبالقوة ثباته وعزمه ونشاطه، وبذلك تحقق فيه الإبداع والتميز.

وكثيراً ما ينطقُ صاحب السكينة بكلام لم يكنْ عن علمه، ولا عن فكرة منه، ويُنجزُ من الإنجازات المائة ما لم يكنْ في حُسبانه؛ فيستقرُّه هو من نفسه، كما يستقرُّ غيره من الناس.

#### الوشيجة بين الفُرية والتوازن النفسي :

لقد صنف ابن القيم الغرياء إلى ثلاثة أنواع (٣) :

**النوع الأول :** غرية أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق، وهذه الفُرية لا وحشة على صاحبها؛ بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فهو خفيف حفي، مستمسك بالسنة إذا رغب الناس عنها، قابض على الجمر حقاً، وأكثر الناس لائم له، فهو غريب في دينه لفساد أديانهم، وغريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع، وغريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، وغريب في صلاته لسوء صلاتهم، وغريب في طريقه لضلال طرقهم، وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وأخرته.

**النوع الثاني :** من الفُرية غرية مذمومة، وهي غرية أهل الباطل بين أهل الحق، فهي غُرْبَة بين حزب الله المفححين، وإن كثُر أهلها، فهم غُرَياء على كثرة أصحابهم وأشياعهم.

**النوع الثالث :** غرية مشتركة لا تُحمد ولا تُذم، وهي الفُرية عن الوطن؛ فإن الناس كلهم في هذه الدار غرياء، فإنها ليست لهم بدار مقام، وقد قال النبي الكريم ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما : "كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" (٤).

أما المفترب فهو كل من انفرد بوصف شريف دون أبناء جنسه، أو هو المتنحي عن الناس (٥)، فإنه غريب بينهم لعدم مشاركته أو لقلته، والاغتراب الانفراد عن الأكفاء بصفة أو حال، وهو أيضاً النزوح عن الوطن (٦)، وهو

على ثلاثة درجات :

الدرجة الأولى : الغربة عن الأوطان أو غربة بالأبدان .

والدرجة الثانية : غربة الحال أو غربة بالأحوال والأفعال ، وهذا من الغرباء الذين طوبي لهم ، وهو رجل صالح في زمن كثُر فيه الأشرار ، والحال الوصف الذي قام به من التدين والتمسك بالسنة ، أو عالم بين قوم جاهلين ، أو صديق بين قوم منافقين .

والدرجة الثالثة : غربة المهمة ، وهي غربة طلب الحق ، وغريته أعلى

الدرجات لأنَّه غريب الدنيا وغريب الآخرة ، وغريته في قلبه ، وشاهدهُ قُرْبُه من الله ، وأُنسَهُ به وشدة شوشه إلى لقائه وفرجه (٧) .

أما الغربة الشائعة ، التي ذكرت في الدرجة الأولى ، وهي الغربة عن الأوطان أو الغربة بالأبدان ، فهي غربة بالمعنى الضيق المأثور ؛ لأنَّ الإنسان عندما يغادر بقعته الأرضية التي ولد فيها وعاش ، وينزح إلى بقعة أخرى فقد يشعر بالانقباض والوحشة من هذه ، والشوق والحنين إلى تلك ، وهذه غربة تشتراك فيها الكائنات الحية ولا يتفردُ بها الإنسان ، ولكنها لا يليثُ الزمان أن يلطّف أو جاعها بالسلوان والنسيان .

أما ما يتفرد به الإنسان عن غيره من الكائنات ، فهو ضرب من الغربة في وطنه ، وأهله ، وذويه ، وفصيلته التي تؤويه ، وأحياناً في عقر داره ، فقد يُتّكِر المرأة سلوكاً في أبنائه وعشيرته ، وتعظمُ الغربة في حياته على قدر اتساع الخلاف بينه وبين غيره .

والإنسان - ابتداء وجوده - غريب في هذه الدنيا ، إذ هبط آدم وحواء من الجنة إلى هذه الأرض ، ولم يجدا أحداً غيرهما ، فالغربيَّة ليست غريبة على المسلمين .

إنَّ أشد أنواع الغربة : ما ذاقه الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - من لوان مُرّة سحيقة من الغربة ، في أوطانهم وبين أقوامهم ، عندما حملوا إليهم رسالة التوحيد التي تناهى وتقاليدهم وعقائدهم ، فنبذوا دعوتهم وراء ظهورهم ، وحاربواهم وأُكْرِهُوا على الهجرة .

وتجدر بنا الإشارة العابرة إلى نماذج من غربة هؤلاء الأنبياء والرسول - عليهم الصلاة والسلام - للاعتبار (٨) .

غرابة آدم عليه السلام : إثبات تأسيسه للوجود البشري في هذه المعمورة ؛ وكان من قبل قد أخطأ وارتكب ما حرم عليه بما أزله الشيطان وزوجه ؛ إلا أنه - وزوجه - سرعان ما عاد إلى التوازن النفسي ، بما تلقى من ربه كلمات للإنابة ، يقول تعالى : "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فوكلا منها رغدا حيث شئتما فولا تقررا هذه الشجرة فنكرونا من الطالبين فما زلهم الشيطان عنها فما خرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو فولكم في الأرض مستقر وممتع إلى حين فتكلقى آدم من ربكم كلمات فتآب عليه إنما هو الشَّوَّاب الرَّحِيم فقلنا اهبطوا منها جميما فلما يأتينكم مني هدى فمن تتبع هدائي فلا خوف علىكم ولا هم يحزرون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار فهم فيها خالدون" (البقرة/٢٥-٣٩) ، "فلا ربنا ظلمتنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين" (الأعراف/٢٢) .

غرابة نوح عليه السلام : يقول سبحانه وتعالى : "ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه إنما لكم تنذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إنما أخاف علىكم عذاب يوم القيمة فقام الملايين الذين كفروا من قومه ما ذراك إلا بشرا مثلك وما ذراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا بأيدي الرأي وما ذرى لكم علينا من فضل بل نظركم كاذبين قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيته من ربكم وأتائني رحمة من عشيركم فعميت عليكم اللذمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أستلكم على مالا إن أحبر إلا على الله وما أنا بطارق الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكلئي أراككم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم فألا تذكرون ولا أقول لكم عيني خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنما ملك ولا أقول للذين تزدري أعيشكם لن يؤتيم الله خيرا الله أعلم بما هي أنفسهم إنما إذا لمن الطالبين" (هود/٢٥-٣١) وقد بلغت

غرية نوح عليه السلام مبلغاً عظيماً من الآثار السلبية للموروثات الثقافية والاجتماعية الفاسدة؛ فكانت شكاوة عليه السلام من قومه المدعوين لشدة غريته: "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّنَا لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِ إِنَّ دِيَارَنَا هُنَّ أَنْتَمْ يُضْلِلُونَا عَبَادَكَ وَلَا يَلِدُونَا إِلَّا فَاجْرًا كُفَّارًا" (نوح ٢٦-٢٧).

غرية إبراهيم عليه السلام: يقول سبحانه وتعالى: "وَأَنْذِلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأً إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُلُ لَهَا حَانِكَفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضْرُونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءِنَا كَذَلِكَ يَعْمَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَثْمَ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ وَالَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهُودِينَ وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِيَنِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي وَالَّذِي يَمْيِنْتُنِي ثُمَّ يَحْيِيَنِي وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَعْفُرَ لِي خَطِيبَتِي يَوْمَ الدِّينِ" (الشعراء/٨٢-٩٠).

فجريته عليه السلام في عالم الدعوة جسيمه؛ إذ بلغ به الشكوى إلى ربه، حين ألقى به في النار، كما ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة عليه، حكاية عن إبراهيم عليه السلام: "اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك" (٩)، فأقصى ما يطمع فيه إبراهيم عليه السلام النبي الرسول، الذي يعرف ربه هذه المعرفة، ويشعر برره هذا الشعور، ويحسن في قراره نفسه هذه القربى.. أقصى ما يطمع فيه أن يفتر له ربه خطيبته يوم الدين، فهو لا ييرئ نفسه، وهو يخشى أن تكون له خطيبة، وهذا الذي يطمعه في العفو والمغفرة، إنه شعور التقوى، وهو انزان النفس المطلوب في عالم الإبداع المتميز.

غرية يوسف عليه السلام: هي قراره الشجاع استعلاءً بالإيمان والصلاح على مغريات الباطل، يقول سبحانه وتعالى حكاية عنه: "قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِيفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبَحْتُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (يوسف ٣٢)، وفي السجن تجلّى التوازن النفسي للنبي يوسف عليه السلام حيث قال لصاحبيه: "يَا صَاحِبِي السَّجْنِ

أَرْبَابُ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ ◆ أَمَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (يوسف/ ٣٩) ، فاتزان نفسه عليه السلام بـ (التقوى) حداً به مرتقاً في سُلْمِ الدنيا الوظيفي إلى أن تسلم مقاليد خزائن أرض مصر : "وَقَالَ الْمَلِكُ اثْتَوَيْنِي بِهِ ◆ اسْتَخْلَصْنِي لِنَفْسِي ◆ فَلَمَّا كَلَمَهُ ◆ قَالَ إِنِّي الْيَوْمُ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ◆ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ ◆ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ◆ وَكَذَلِكَ مَكَنَنَا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ◆ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ◆ تُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ◆ وَلَا تُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ◆ وَلَا جَرُّ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلذِّيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (يوسف/ ٥٧-٥٤) .

غريبة موسى عليه السلام : - ابتداء - في اليم عقب ولادته ، وأيام ترعرعه في قصر فرعون، ثم أيام مواجهته عليه السلام ظلم فرعون وطفيانه ، يقول الله تعالى : "وَقَالَ الْمَلِأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ أَنَّذَرَ مُوسَى وَقَوْمَهُ ◆ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ◆ وَيَدْرِكَ وَآلَهُكَ ◆ قَالَ سَتُُقْتَلُ أَبْنَاءُهُمْ وَتَسْتَخْيَى نِسَاءُهُمْ ◆ وَإِنَّا فَوْقُهُمْ قَاهِرُونَ ◆ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَغْيِثُوْا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوْا ◆ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ◆ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ◆ قَالُوا أَوْذِيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جَئَنَا ◆ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهَلِّكَ عَدُوكُمْ وَيَسْتَخِلْفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ◆ فَيَنْتَظِرُ كَيْفَ تَعْلَمُونَ" (الأعراف/ ١٢٩-١٢٧) .

غريبة محمد ﷺ : قال النبي الكريم ﷺ لعاشرة : "لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يُجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظللتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله عزوجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملك الجبال ، وسلم علي ، ثم قال : يا محمد ! إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربكم إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين" (١٠) ، فقال له رسول الله ﷺ : "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً" (١١) ، ويتبين من خلاله موقف رسول الله ﷺ بضبط

النفس وتوازنها

كذا جسد رسول الله ﷺ السكينة والطمأنينة النفسية إزاء الاغتراب (الهجرة) ، حكاہ الله عزوجل في القرآن الكريم : "إِلَّا تَتَصْرُّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِلَّا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ۖ ثُانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ ۖ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ۖ لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُونٍ لَمْ تَرَوْهَا ۖ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى ۖ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلَيْا ۖ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (التوبه/٤٠) ، إذ كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص إلى رسول الله ﷺ منهم أذى ، يقول له : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، والرسول الكريم ﷺ وقد أنزل الله سكينته على قلبه - يسكنه ويُشْبِه ، فيقول له : يا أبو بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما" (١٢)

**فالخلاصة :** إنه لا يوجدنبي ولا رسول ، إلا فيواجه عالم الغربة الشديدة : لا سيما أولو العزم منهم ، وبذلك يرتفعون إلى أعلى الدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، فالغرابة ليست غريبة عنهم ، ولا عن وراثتهم من العلماء والأولياء .  
**مطلب التوازن في تدین الإنسان :**

إن النفس الإنسان حالات - بحسب ما يعتريها من ظروف نفسية -:  
حالة التوازن والاطمئنان "النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ" (الفجر/٢٧) ، وحالة القلق والاضطرابات : "النَّفْسُ الْلَّوَامَةُ" (القيامة/٢) ، وحالة الهم بالفجور : "إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ" (يوسف/٥٣) .

والحقيقة أن النفس البشرية لا تتتنوع تنوعاً عرضياً كما يفهم من هذه النفوس الثلاثة الواردة في القرآن الكريم ، وأن هذه الآيات ليست تتويعاً للنفس ، وإنما هي توصيف لها ، إذ الأوصاف تتبدل وتتغير وتتحول ، على العكس من النوع الذي يتصف بثبات الوصف المشترك في جميع أفراده ، بمعنى : لو أن الله خلق النفس أنواعاً ، لاقتضى من ذلك الخلق : نفساً مطمئنة ، ونفساً أخرى لوماء ، ثم أخرى أمارة بالسوء ، فلا اللوماء تصير مطمئنة أو أمارة بالسوء ، ولا الأمارة بالسوء تصير لوماء أو مطمئنة ، وهذا

خلاف قوله تعالى : "وَتَفْسِي وَمَا سَوَاهَا" (الشمس/٧) ، أي : أنه سبحانه وتعالى خلقها سوية مستقيمة ، ثم لحقتها بعد ذلك عوارض كالعوارض التي تصيب الجسد .

وتوصيف النفس - لا التقويع - يفيد بأنه يمكن للنفس اللوامة أن تتحول بالترويض إلى وصف آخر أرقى وأعلى حتى تكتسب الشعور بالذنب ، وهذا ما نسميه : (إحياء الضمير) ، بل يمكن أن تصل النفس بالترويض والتربيـة إلى أعلى من ذلك ؛ لتصـل إلى حد الاتزان والاطمئنان ، وتـكون العاقبة حـسن المـآب : "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ فَأُلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ" ❀ الـذـينَ آمـنـوا وـعـمـلـوا الصـالـحـاتـ طـوـبـيـ لـهـمـ وـحـسـنـ مـآـبـ" (الرـعدـ/ـ٢٨ــ٢٩ـ) .

وللتوازن بين أداء متطلبات الواجبات إزاء ضيق الأوقات ؛ جاء التـرشـيدـ النـبـويـ فيـ الـحـدـيـثـ : أـنـ رـجـلاـ قـالـ : يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ إـنـ شـرـائـعـ الـإـسـلـامـ قدـ كـثـرـتـ عـلـيـ ، فـأـخـبـرـنـيـ بـشـيـءـ أـتـشـبـهـ بـهـ ، قـالـ : لـاـ يـزالـ لـسـانـكـ رـطـبـاـ مـنـ ذـكـرـ اللـهـ" (١٢ـ) فـالـإـيمـانـ وـالـعـمـلـ الصـالـحـ هـمـ الـمـيـارـانـ مـنـ أـرـادـ التـقـدـمـ وـالـعـلوـ ، أوـ التـخـلـفـ وـالـدـنـوـ ، فـذـكـرـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ : "لـقـدـ خـلـقـنـاـ إـلـيـسـانـ فـيـ أـخـسـنـ تـقـوـيـمـ ❀ ثـمـ رـدـدـنـاـ أـسـفـلـ سـافـهـلـيـنـ ❀ إـلـاـ الـذـينـ آمـنـوا وـعـمـلـوا الصـالـحـاتـ ❀ فـلـهـمـ أـجـرـ غـيـرـ مـمـثـونـ" (الـتـيـنـ/ـ٤ــ٦ـ) .

ولعل التواكب مع ما يتناسب متطلبات العصر الذي يعيش فيه الإنسان - من العصر الزراعي ، فالعصر الصناعي ثم العصر الإلكتروني والتقني - توازناً وتكاملاً باتخاذ أسباب الارتقاء الروحي من الإيمان والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ؛ هو أن يكون الإنسان في متأئٍ عن الخسران : "وَالْفَصْرُ ❀ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ❀ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ❀ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ❀ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ" (الـعـصـرـ/ـ٣ــ١ـ) .

ويأتي النداء الإلهي للنفس الإنسانية المطمئنة في عطفه وقربه ، وفي روحانية وتكريم وفي شاء ، وطمئن للرجوع إلى خالقها وبيارتها بعد غربة الأرض وفرقـةـ المـهـدـ : "يـاـ أـيـنـهـاـ النـفـسـ الـمـطـمـئـنـةـ ❀ اـرـجـعـيـ إـلـىـ رـبـكـ رـاضـيـةـ"

مَرْضِيَّةً ◊ فَادْخُلِيْ فِي عَبَادِيْ ◊ وَادْخُلِيْ جَنَاحِيْ" (الفجر/٢٧-٣٠) فهي النفس المطمئنة إلى ريها .. المطمئنة إلى طريقها، المطمئنة إلى قدر الله بها، المطمئنة في النساء والضراء، وفي البسط والتقبض، وفي المنع والعطاء، المطمئنة فلا ترتاب، والمطمئنة فلا تتحرف ، والمطمئنة فلا ترتاب في يوم ال�ول الرعيب (١٤) .

ومن الأهمية بمكانت التوجيه بمكمن المشكلة في الكثير من الاتجاهات التربوية : الخلل في التوازن ، وضبط النسب ، وما تعاني منها العملية التربوية الإسلامية : عقلية التبعيّض والتفضّك ، أو النظارات الجُزئية التي تقترن إلى الشمولية والتوازن ، وضبط النسب ، لأنها في نهاية المطاف تمثل النظرة الأحادية الضيقّة التي تتّوهُم أنّها اكتشافت الحقيقة المطلقة كلها ، واستحوذت عليها من كُل جوانبها ، فلذلك تتغلّق عليها ، وتُلقي حق غيرها في النظر ، وتلقي أيضًا حقها في النمو والامتداد التراشي ، كما تحول دون الإفادة من جهود الآخرين ، ولو جاءت من المنطلقات نفسها ، وبنت في التربية نفسها ، علاوة عن القدرة على الإفادة من نتاج الأمم الأخرى فيما يحقق الانتفاع .

إذاً ، من الضروري أن تتوافق الإرادات النبيلة العازمة ، مع القدرات التسخيرية في تربية الفرد ، ومن خلال هذا التوزن يتولّد "العمل الصالح" بمعنى العمل على تنمية الإرادات العازمة حتى درجة التضحية بالمال والنفس ، ثم العمل بنفس القدر من الجهد والكفاءة لتنمية القدرات التسخيرية ، حتى درجة التسخير الكامل للإمكانات المادية والبشرية المتوفّرة .

ويبقى أن نعرف أن للتدين الحق في الإيمان والعمل الصالح مقاييسين :

= مقياس الاستجابة لمطالب المنهج ومقتضياته :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَّكُمْ لِمَا يُخِيِّنُكُمْ" (الأنفال/٢٤) .

= مقياس الطاقة والوسع :

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" (آل عمران/٢٨٦) .

ومقياسان متوازنان متكملان ، فالاستجابة للمنهج مشروط

بالقدرة في المجال العملي ، والإسلام منهج وسط في كل شيء : في التصور والاعتقاد ، والتعبد والتتسك ، والأخلاق والسلوك ، والمعاملة والتشريع .

وهذا المنهج وحي من الله فيه نور وهدى ، وهو منهج متميز سماه الله : "الصراط المستقيم" ، يقول الله تعالى : "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ◆ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ◆ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ ثُوْرًا لَّهُدِيَ بِهِ مَنْ يُشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ◆ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ◆ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ◆ أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَصِيرُ الْأُمُورَ" (الشورى/٥٢-٥٣) .

ويمتاز هذا المنهج بـ (الوسطية) وهي إحدى الخصائص العامة للإسلام ، ضمن المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها : "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسُطْلَانًا شَكُونَوْنَا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ" (البقرة/١٤٣) فهي أمة العدل والاعتدال ، التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف منهجي يميناً أو شمالاً عن خط الوسط المستقيم ، كما تشهد على صدق عمل الصادقين في الدنيا والآخرة .

#### التقدم المتكامل - إبداع :

إن التقدم في شريعة الإسلام للحياة ؛ تقدم متكامل روحي ومادي ، تعبدى وسلوكى ، علمي وعملى ، دنيوى وأخروى ، وليس ثمة أي تعارض بين هذه المقابلات ، بل هو يجمع بينها في تناغم وافتئام .. وتوازن واتزان .. وتناسق واتساق .. وتكميل واقتمال .

إنه تقدم في الأهداف والغايات ، وتقديم في الوسائل والأساليب معاً ، فالإسلام أحرص ما يكون على نزاهة الوسيلة ، حرصه على شرف الغاية ، ولا يقبل بحال تبرير الغايات النبيلة بوسائل خسيسة أو قذرة ، بل الوصول إلى الحق بطريق الباطل مردود شرعاً وغُرفاً .

وفي ضوء هذا المفهوم المتكامل للتقدم قامت الحضارة الإسلامية الشامخة التي جمعت بين الروائع المادية التي تمثلت في مبدعات العمارة والفنون وغيرها ، وبين المعاني الإيمانية والأخلاقية التي كانت هي الدوافع

الحقيقة وراء هذا الإبداع ، وكانت هي السند الروحي والمعنوي للثقافة والحضارة الإسلامية في عامة مظاهرها ومنجزاتها ؛ إنها عقيدة ربانية : محورها الإيمان ، وشريعة الله : ركيزها العمل الصالح (١٥) . التوازن المتميز - أحسن الوسائل لأفضل الفيقيات :

لم يكتف الإسلام بأن ربط المسلم بأفضل الفيقيات، وأسمى المقاصد ، ولكنـه أيضاً هدأه إلى اتخاذ أمثل الوسائل ، وأحسن الأساليب ، في الوصول إلى تحقيق مقاصده وتطبيق أهدافه ، وهذا واضح من قرآن وتدبره . إن القرآن يريد للإنسان المسلم أن ينتهي دائمـاً أـفضل الوسائل ، ويستخدم أمثل الأساليـب .

اسمعوا قول الله سبحانه وتعالـى فيما يتعلـق بمنـهج الاتـباع والتـطبيق :

"وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ❀ وَأَنَّابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ❀ فَبَشِّرُ عِبَادَ ❀ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ الْفُوْنَ فَيَتَّبَعُونَ أَحْسَنَهُ ❀ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ❀ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ" (ال Zimmerman / ١٨-١٧) ، "وَاتَّبَعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلٍ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ❀ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" (ال Zimmerman / ٥٥) .

وقال تعالى في موضع المدح والثناء : "وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مَمْنَ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ❀ وَهُوَ مُحْسِنٌ ❀ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَتَّىٰ فَأَتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" ( النساء / ١٢٥ ) ، وقال تعالى : "وَمَنْ أَحْسَنَ قُولًا مَمْنَ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمَلَ صَالِحًا ❀ وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" ( فصلات / ٢٣ ) .

وكذلك انتهاج الأحسـن في التـحية (شعار الإسلام) : "إذا حـيـثـمـ بشـحـيـةـ ❀ فـجـيـعـواـ بـأـحـسـنـ مـيـثـاـ أوـ رـدـوـهـاـ ❀ إـنـ اللـهـ كـانـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ حـسـيـنـاـ" ( النساء / ٨٦ ) .

فقد جاء الإسلام بتحيته الخاصة : "السلام عليكم" أو "السلام عليكم ورحمة الله" أو "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" التي تميز المجتمع المسلم ، وتجعل كل سمة فيه - حتى السمات اليومية العاديـة - متفردة متميـزة ، فالرد على التـحـيـة بـأـحـسـنـ مـيـثـاـ بـالـزـيـادـةـ عـلـىـ كـلـ مـنـهـاـ ، أوـ الرـدـ

بمثلاً حال استيفاء كل الزيادات .

وفي مجادلة المخالفين ، على سبيل المنهج الدعوي العام ، يقول سبحانه وتعالى : "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ❀ وَجَاهُوكُمْ بِالْتَّقْوَىٰ هِيَ أَحْسَنُ" (النحل/١٢٥) ، فإذا كانت هناك طريقتان للمجادلة : حسنة ، وأحسن منها ، فالمسلم مطالب أن يجادل بالتالي هي أحسن ؛ بله الأمر ، على سبيل المنهج الدعوي الخاص ، بأن تكون المجادلة بالتالي هي أحسن مع الآخر) ؛ بنية انتفاء الظلم وتوكيد القواسم المشتركة ، يقول سبحانه وتعالى : "وَلَا تُجَاهِلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالْتَّقْوَىٰ هِيَ أَحْسَنُ ❀ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ مِّنْهُمْ ❀ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزَلَ إِلَيْنَا ❀ وَأُنزَلَ إِلَيْكُمْ ❀ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ❀ وَتَحْنَنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (العنكبوت/٤٦) .

وفي مُدافعة الخصوم والمُبتدئين بالسوء ، يقول سبحانه وتعالى : "وَلَا تُسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ❀ ادْفُعْ بِالْتَّقْوَىٰ هِيَ أَحْسَنُ ❀ فَإِذَا الَّذِي يَبْتَكِرُ وَبَيْتَهُ عَدَاؤُهُ ❀ كَأَنَّهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ" (فصلت/٣٤) ، فالمسلم مطالب أن يدفع سيئة المُسيء بأحسن الطرق وأولاًها بالتأثير في نفسية المُبتدئ بالإساءة ، حتى ينقلب من مُعاد إلى صديق حميم ؛ علاوة على أن القول بالتالي هي أحسن ، تقويت الفرصة على الشيطان في الترغيب بين العباد : "وَقُلْ لِعَبَادِي يَقُولُوا التَّيْنِ هِيَ أَحْسَنُ ❀ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَوَّزُ بَيْنَهُمْ ❀ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِإِلَسْنَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا" (الإسراء/٥٣) .

وانتهاج الأحسن في تنمية مال اليتيم ، يقول سبحانه وتعالى : "وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَمِمْ إِلَّا بِالْتَّقْوَىٰ هِيَ أَحْسَنُ ❀ حَشْ يَبْلُغُ أَشَدَّهُ" (الأنعام/١٥٢) ، الإسراء/٣٤ .

إذا كانت هناك طريقتان لتنمية مال اليتيم : إحداهما حسنة ، والأخرى أحسن ، فالقائم على ولایة اليتيم مطالب باتخاذ الأحسن . ف(الأحسن) هو هدف الإنسان في كل شيء ، وإذا كانت الطمأنينة النفسية بالإيمان بالله ، والاستقامة على النهجية المتكاملة في العلم الصالح مُنبعدةُ الخوف والحزن ؛ فإن أحسن العمل ابقاء مرضاه الله عزوجل هو عليه

مدار القبول ، ومِرَاد التجاوز عن السيئات - حال الخطأ أو التنسان أو الإكراه - : "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ فَلَمْ أَسْتَقِمُوْا فَهُنَّ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُنْ يَحْزَنُونَ اُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَا إِلَيْهِ إِحْسَانًا حَمْلَتْهُ أُمَّةٌ كُرْهًا وَوَضْعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلَهُ وَفِصَالُهُ تَلَاقُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشْدَهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبُّ أُوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالدَّيْرِ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِيَنِي هُنْ دُرْيَتِي إِنِّي ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ اُولَئِكَ الَّذِينَ تَكَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَنَتَّجَاؤُهُمْ عَنْ سَيِّئَتِهِمْ هُنَّ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَعَنِ الصَّدِيقِ الَّذِي كَانُوا يُؤْعَدُونَ" (الأحقاف/١٢-١٦).

وأوضح من ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل غاية خلقه للأرض وما عليها من زينة ، وخلقها للموت وللحياة وللكون كله ، أن بيته الناس : أيهم أحسن عملاً ؟ كأن الذين يعملون السيئات لا مدخل لهم هنا ، وإنما الأمر يدور على المحسنين أيهم الأحسن والأجود لعمله من الآخر ، يقول عزوجل : "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِهَا لِيَنْبُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" (الكهف/٧)، ويقول جل جلاله : "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَنْبُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" (الملك/٢) ، ويقول سبحانه وتعالى : "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيِّئَةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَنْبُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" (هود/٧). كأن الابتلاء في هذه المقامات لا يهدف إلى إبراز من حسن عمله بالنسبة إلى من ساء عمله ، بل الهدف هو إظهار من كان أحسن عملاً من غيره ، فالسباق إذن ليس بين سيئ وحسن ، بل بين حسنة العمل ، ومن منهم أحسن وأمثل وأحكم من الآخرين ، التنافس يجري حول الأحسن ، لا حول الحسن !! (١٦).

الختام :

إن ما جاء به الإسلام يُشكّل بناءً تربوياً متوازناً ومتكاملاً ، في مجال العقيدة التي تخلص الإنسان من كل ألوان العبودية ، وتعتق نفسه ..

وروحه .. وعقله من : الأغلال والأصار ، والآبائية (الاكتفاء بالملوّف القائم) والتقليد الأعمى ؛ لشकسبيه الطمأنينة والسكنينة تجاه مسائل الوجود البشري : الحياة والموت ، والرزق والمصير ...

كما فرض الإسلام عبادات متكاملة لبناء الشخصية هي بمثابة تعليمات واستجابات عملية عضوية وسلوكية لقضية عقديمة فكرية ، ومعاملات مرتبطة بقيمة نفسية ، وضوابط أخلاقية ، ومسالك اجتماعية .. إلخ ؛ ليكون المطلوب تربويًا هو كيفية ابتكار المناهج التظيرية ، والوسائل التطبيقية (إبداع) ، لإحداث التفاعل المتوازن بين الإنسان وميدان العمل ومجالاته (تميّز) : "الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَجْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ هُوَ الْئُورَاءُ وَالْإِنجِيلُ ◆ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ◆ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ ◆ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابَاتُ ◆ وَيَضْعُعُ عَنْهُمْ إِعْرَافُهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ◆ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ بِهِ وَعَزَّزْنَاهُمْ وَنَصَرَوْهُمْ ◆ وَأَتَبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا مَعَهُ ◆ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (الأعراف/ ١٥٧).

ويحذر رسول الله ﷺ من أن يكون الفرد مدخل التوازن النفسي ؛ حيث عديم الفكرة ، مسلوب الإرادة : "لَا تَكُونُوا إِمْمَةً ، تَقُولُونَ : إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنَا ، وَإِنَّ ظَلَمَوْا ظَلَمْنَا ؛ وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنفُسَكُمْ ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاعُوا فَلَا تَظْلِمُوهَا" (١٧).

ولعل خير ما نختتم - هذه العِجَالَة - بالأمثلة العديدة لمنافع : (الإيمان والعمل الصالح) في الدارين : الدنيا والآخرة ؛ بما يعكس إيجاباً على النفس ، فيذكر القرآن الكريم منها :

= الأمان والتمكين في الأرض ، قال تعالى : "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آتَيْنَا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ◆ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ◆ وَلَيَمْكُنَنَّ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ◆ وَلَيَبْدَلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا" (النور/ ٥٥).

= الحياة الطيبة ، قوله سبحانه وتعالى : "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ◆ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً ◆ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا

كَأُولُو يَعْمَلُونَ" (النحل/٩٧) .

= الدرجات العالية ، قال تعالى : "وَمَنْ يَأْتِيَنَا مُؤْمِنًا فَقَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الْدَّرَجَاتُ الْعُلَى" (طه/٧٥) .

= الجزاء الحسن ، قال تعالى : "وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا" (الكهف/٢) .

= النزول في جنة الفردوس ، قال تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا هُنَّا جَنَّاتُ الْفَرْدَوْسِ نُرَبْلًا" (الكهف/١٠٧) .

سبحان رَبِّ الْبَرَّ عَنِ الْمُرْسَلِينَ ۝  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝



- (١) خطبة الحاجة لرسول الله ﷺ ، سنن الترمذى ، رقم ١٢٢ .
- (٢) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ، هذبته عبد المنعم صالح العلي العزي : ج ٢ ، ص ٧٩١-٧٩٠ ، مؤسسة الرسالة .
- (٣) انظر : مدارج السالكين لابن القيم الجوزية : ج ٢ ، ص ١٩٤-٢٠٥ .
- (٤) صحيح البخاري ، رقم ٢٢٥٨ .
- (٥) لسان العرب لابن منظور ، مادة : غرب : ج ١ ، ص ٦٣٩ .
- (٦) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية : ج ٣ ، ص ٢٠٥ .
- (٧) يراجع كتب التفاسير حيال الآيات المختارة .
- (٨) رواه أبو يعلى ، انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير : ج ١/١٤٦ ، ص ١٤٦ ، وقصص الأنبياء ، ابن كثير : ص ١١٠ .
- (٩) الأخشين : مما جبلا مكة (أبو قبيس) والذي يقابلها وكأنه قعيقان ، وسميا بذلك لصلابتها وغلظ حجارتها ، والمراد بـ (اطباهمما) : أن يلتقيا على من بمكة ، أو جعلهما كالطبق عليهم حتى هلكو تحته ، التوسي شرح صحيح مسلم : ج ١٢/١ ، ص ١٠٥ .
- (١٠) صحيح البخاري ، رقم ٢٢٢١ ، صحيح مسلم ، رقم ٣٢٥٢ .
- (١١) تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢/٤٧٢ ، ص ٤٧٢ .
- (١٢) سنن الترمذى ، رقم ٣٢٩٧ . (١٤) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب : ج ٢/٦ ، ص ٣٩٧ .
- (١٣) انظر : الإسلام حضارة الغد ... للدكتور يوسف القرضاوى (يتصرف) .
- (١٤) انظر : الإسلام .. حضارة الغد ، للدكتور يوسف القرضاوى (يتصرف) .
- (١٥) سنن الترمذى ، رقم ١٩٢٠ .

## في رحلة البحث عن مسئول

يقال : الاستاذ اشرف شعبان ابواحمد  
(جمهورية مصر العربية)

في رحلة البحث عن مسئول يقضي لي حاجتي ، استعنت بالأهل والجيران ، وبالمعارف والخلان ومن توسمت فيهم القدرة على قضاء المصالح وتبادل المنافع والخدمات ، طرقت كل الأبواب ، أبواب من جل شأنهم ومن قل ، ووقفت بالأيام والليالي على الأعتاب ، أعتاب من بيدهم الأمر ومن بيدهم النهي ، أعتاب مصالحهم وأعتاب مساكنهم ، وأعتاب الأماكن التي يتربدون عليها والتي يمررون بها في ذهابهم وإيابهم ، انتظرت على الأرصفة وقارعة الطرق وأروقة المكاتب ، مرور أي منهم أذكره بحالى وباحتاجتى عنده ، بإشارة يد أو بنظرة عين أو إيماءة برأسى ، متخيلاً لكم سيسهلننى بعطفه وكم سيحيطنى بوده وكم من الثنائى ستمضي حتى تقضى حاجتى وتسد خلتى ، ولكن منهم من تذكر لي ومنهم من أنكر نفسه عنى ، منهم من أهملنى ، ومنهم من أمهلنى مهلة وراء أخرى ومدة وراء أخرى ، انتهت جميعها ولم تتجز حاجتى ، إلى أن عثرت بمن ظننت أن بيده وحده أمر قضاء حاجتى ، فقررت ألا أضيعه ، فلجلأت إليه متقرباً ، تذللت له ولين حوله ولن يحيطونه ، رجوthem وتسللت إليهم ، وأطعتهم في كل أمر صحيحاً كان أم خطأً ، كبيراً كان أم صغيراً ، طرحت عليهم كل آيات النفاق والإطراء ، أنصت إلى قصص وروايات عن أعمال ونجاحات نسبوها لأنفسهم ، وأبديت إعجابي بها وتصديقي لها ، رغم يقيني بأنها من صنع خيالهم ، وشكرت لهم فعلهم خيراً كان أم شراً ، قبلت الأيدي والأقدام ، وحملتهم فوق الأكتاف والأعناق ، وقدمت فروض الطاعة والولاء ، وأسدلت عليهم الهدايا والعطايا ، وفعلت كل ما يمكن فعله رغبة مني في كسب ودهم ورضاهما ، ولم تكن في حوزتى فكرة إلا

ونفذتها ، ولا حيلة إلا واستنفذتها ، ولا جهد إلا واستهلكته ، عسى أن تقضى مصلحتي ، وبعد أن عانيت كل ما عانيت ، وتكلبت ما تكلبت ، وأرقت ماء وجهي ، وظلمت نفسي ، لم تفلح كل هذه الأمور في قضاء حاجتي ، فسألت نفسي لماذا كل هذا <sup>١٦</sup> ووجدت الإجابة أنني أخطأت عندما تعلقت ببشر مثلِي مثله في قضاء حاجتي ، ركنت إليه واعتمدت عليه ، أخذنا بالأسباب ، ظننت أن بيده تدبير أمري وتذليل الصعاب التي يمكن إن تقابلني ، لما له باع كبير في قضاء مثل هذه الأمور ، وهذا ليس بحالِي وحدي ، ولكنَّه حال كثرين مثلِي ، فلا يكاد نرى التعيين أو الترقى في الوظيفة إلا بواسطة قلان وواسطة علان من رجال السلطة ، ولا تتقاضي مصلحة ولا تحصل منفعة مهما كانت إلا بمعرفة هذا ومحسوبيَّة ذاك من ذوي المناصب ، ولا تجد من يعتني بك ويعطي لحاجتك أي قدر من الأهمية إلا إذا كنت بصحبة قلان أو توصية علان من أصحاب الجاه ، وكثير من الناس من يقول : إن حياتي أو رقبتي في أمر أو يد قلان ، تعيناً عن موضوع ما في حياته ، القضاء فيه بالسلب أو الإيجاب ، في يد شخص ما من أصحاب السلطة أو المنصب ، فلم نعد نرى لصالحتنا انتفاء إلا بهذه الوسائل والأسباب ، لهذا فقد تشبثنا بها جميعاً ، تشبثنا بها بجوارحنا وقلوبنا ، وغفلنا عن مسببها وحالقها ، فصار كل نظرنا إليها وكل اعتمادنا عليها ، حتى أمست وكأنها آلة تبعد مع الله أو من دون الله ، لقد ركنا إلى الأسباب وتركنا مسبب الأسباب : "الله جلت قدرته" فهو الذي وضع الأسباب وأمر باتخاذها ورتب عليها آثارها قدرأً وشرعاً ، وهو في الوقت نفسه القادر على أن يعطلاها إن شاء أو أن يخلق من الموانع ما يعوق سيرها أو يبطل أثرها ، فالنار مثلاً لها خاصية الحرق وبإرادته وحده تعطلت هذه الخاصية ، بل وقلبَت إلى خاصية مضادة فصارت برداً وسلاماً ، قال تعالى : "قُلْنَا يَا نَارُ كَوْنِي بِرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ" (الأنبياء/٦٩) قال الذي قال للنار : كوني حارقة ، هو الذي قال لها : كوني برداً وسلاماً ، وقد كان سيدنا إبراهيم على يقين بأنَّ أمر إخراجه من هذه المحنة بيد الله وحده لا بيد غيره مهما كان ، لهذا حينما ألقى عليه

السلام في النار ، سأله جبريل عليه السلام ألم حاجة ؟ قال له : (أما إليك فلا) ، وقد ذكر القرآن لنا نموذجاً من الاعتماد على الأسباب الظاهرة وحدها ، فإذا هي لا تتحقق نتائجها ، وذلك في قوله تعالى في سورة التوبة ، الآية ٢٥ : "لَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ◆ إِذَا أَعْجَبْتُكُمُ كَثِيرَكُمْ ◆ فَلَمْ تُفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ◆ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ◆ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُذْبَرِينَ" لقد خذلوا وهم كثرة حيث غرهم الكم وأذهلهم عن التوكيل فلم يفن الكم الكثير شيئاً ، على حين انتصروا وهم قلة ، إذ كان اعتمادهم على الله وحده بعد إن بذلوا ما استطاعوا .

وما من مخلوق كائنٌ من كان يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف به يملك الضير والنفع لغيره ؟ قال تعالى في سورة الفرقان ، الآيات ٣-١ : "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ◆ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ◆ وَلَمْ يَتَعَذَّ وَلَدًا ◆ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ◆ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرَةً تَقْدِيرًا ◆ وَأَتَجْدَهُ مِنْ دُونِهِ آلَهَةٌ ◆ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ◆ وَهُمْ يَخْلُقُونَ ◆ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًا ◆ وَلَا نَفْعًا ◆ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً ◆ وَلَا نُشُورًا" فالله هو خالق كل شئ فقدرته تقديرأً قدر حجمه وشكله وقدر وظيفته وعمله وقدر زمانه ومكانه وقدر تناسقه مع غيره من أفراد هذا الوجود الكبير ، أما سائر المخلوقات فلا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، والذي يملك لنفسه النفع قد يسهل عليه الضير ، ولكن حتى هذا لا يملكونه ، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، فلا إماتة حي ولا إنشاء حياة ولا إعادةتها داخل في مقدورهم ، وقال تعالى على لسان نبيه في سورة الجن ، الآية ٢٠ : "قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشْدًا" ، وفي قوله تعالى : "وَإِنْ يَمْسِسْكُ اللَّهُ بِضَرٍّ ◆ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ◆ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ◆ فَلَا رَآدَ لِفَضْلِهِ ◆ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ◆ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يونس/١٠٧) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه ، فإن الله هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد ،

وكان إذا أرادك بخير ، لم يرد أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان ، فهو المنفرد بالملك والقهر ، والعطاء والمنع ، والضر والنفع ، دون كل ما سواه ، قال تعالى : **”قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا“** (الفتح/١١) وعن ابن عباس قال : كثنت خلف رسول الله يوماً فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألاه فاسأله الله وإذا استعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفت الأقلام وجفت الصحف” (حديث حسن صحيح) ، وفي رواية أخرى : ”احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً“ .

قال رسول الله : ”من أصابته فاقحة فأنزلها الناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالغنى إما آجلاً وإما غنى عاجلاً“ (رواية أبو داؤد والترمذني) ، وعن الإمام أحمد قوله : أوحى الله تبارك وتعالى إلى داؤد : يا داؤد ، وأما عزتي وعظمتي لا يعصم بي عبد من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكتيده السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له بينهن مخرجاً وأما عزتي وعظمتي لا يعصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده وأসخت الأرض من تحت قدميه ، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك ، وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : ”من تعلق شيئاً وكل إليه“ (رواية أحمد والترمذني) ، قوله : ”ومن تعلق شيئاً وكل إليه“ التعلق يكون بالقلب ويكون بالفعل ويكون بهما ، وكل إليه : أي وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلق به ، فمن تعلق بالله وأنزل حواجه إليه والتجأ إليه ، وفوض أمره إليه ، كفاه ، وقرب إليه كل بعيد ، ويسره له كل عسير ، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك ، وكله الله إلى ذلك وحده ، وهذا معروف بالنصوص والتجارب ، قال تعالى في سورة الطلاق ، الآية/٣ : ”وَمَنْ

## البعثة الإسلامية في رحلة البحث عن مسئول

يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، قال تعالى : " لَا تَنْدُعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَقْلَتْ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ " (يونس/١٠٦) فالذى يتخد كائناً ما نصيراً وكاشفاً عنه السوء وقادياً لحاجته وقدراً على أن ينفعه ويضره ، ومن يخاف أحداً ويتقىه ويرى أن سخطه يجر عليه الضرر ومرضاته تجلب له المفعة ، يستحق له ما جرى لي ، ويقول تعالى لنبيه محمد : " لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَقَعْدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا " (الإسراء/٢٢) وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب للنبي الكريم ، فهو معنى به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جل وعز .

وأخيراً لجأت لمن ذا الذي إن تقررت إليه شبراً تقرب إلى ذراعاً ، وإن تقررت إليه ذراعاً تقرب إلى باعاً ، وإن أتيته أمشي أثاني هرولة ، لجأت لمن يحب أن يُسأله ويغضب إن تركت سؤاله ، لجأت لمن ذا الذي ليستحيي أن أبسط إليه يدي أسأله فيهما خيراً فيردهما خائبين ، لجأت لمن أسأله حاجتي كلها حتى شسع نعلي إذا انقطع ، لا يكل ولا يمل ، لجأت لمن لو أن أولنا وأخرنا وإنسنا وجنتنا قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر .

وأخيراً طرقت الباب الذي لم أطرقه من قبل ، الباب الذي لا يفلق أبداً ، ألا وهو باب الله الكريم ، طرقته بالدعاء والابتهاج والتضرع إلى من يحب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، وينصر المظلوم المغلوب ، يرفع دعوته فوق الغمام ، ويفتح له أبواب السماء ، ويقول جل جلاله : " لَا تَنْصُرْنِكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينَ " لجأت إلى الله أتوكل عليه وحده ، وأفوض أمري إليه ، لا أعتمد على غيره ، وإليه وحده أرجع فيما يحزني من الأمور ، وإليه وحده أتوجه بنبتي وعملي ومسعائي ، فإذا بحاجتي تتقضى على يد أناس لم أسكن لأن أعرفهم ولم يكونوا ليعرفونني ، لو لا إرادة الله ، فهو القادر على إنجاح مسعائي بما يعلم من نبتي وبما يجزي على جهدي : " وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْبَبْ " (هود/٨٨) ، فإليك يا رب أعود وأرجع بعد إن تعلمت الدرس .

## شرح تصيره : "الدراكب الدرية في سرع خير البرية" (المعروفنة بالبروة)

للإمام الأكبر إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر  
(الحلقة العاشرة الأخيرة)

بقلم : الأستاذ الدكتور غريب جمعة  
جدة - المملكة العربية السعودية

وبعد ما عاينوا ما في الأفق من شهيب  
منقطة وفق ما في الأرض من صنم (٦٩)

(٦٩) قوله : "وبعد ما عاينوا .. الخ" أي ومن بعد ما عاينوا فهو معطوف على بعد ، في قوله : "من بعد ما أخبر .. الخ" فيقرأ لفظ بعد بالجر نظراً لذلك ويصح قراءته بالنصب نظراً محل الجار وال مجرور ، و "ما" موصوله بمعنى الذي ، والعائد محذوف ، والتقدير عاينوه أي شاهدو وأبصروه ، وقوله : "في الأفق" بسكون الفاء ، كما هو لغة في الأفق بضمها والمراد هنا السماء ، لا حقيقة التي هي أطراف السماء ، المماسة للأرض لعدم وجود الشهب في ذلك ، وقوله : "من شهيب" بيان لما عاينوه ، والشهب جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة وليس هو النجم كما يتوهם لأنه لا ينقض ولا يسقط ، وقوله : "منقطة" أي ساقطه من السماء على الشياطين الذين كان يستردون السمع من الملائكة ليلاً ، وخاصة ليلة ولادته ﷺ ، ولم يكن للكافر عهد بمثل ذلك ، وإن كان لهم به عهد في الجملة ، وذلك أن الشياطين كانوا يستردون السمع من السماوات كلها فلما ولد ﷺ زيد في حرارة عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات بسقوط الشهب عليهم بكثرة ، لكن كانوا يقدعون في السماوات فمتعوا من سائرها بسقوط الشهب عليهم بكثرة ، لكن كانوا يقدعون في مقاعد قريبة من السماء بحيث يسمعون صريف الأقلام أي صوت أقلام الملائكة التي تكتب ما يقع في العالم ، ولما بعث ﷺ منعوا من ذلك بالذهب أيضاً ، كما قال تعالى <>

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم

من الشياطين يقفوا إثر منهزم (٧٠)

كانهم هريراً أبطال أبرهة

أو عسكراً بالحصى من راحيته رمي (٧١)

<> حكاية عنهم : "وَأَنَا كُنْتُ نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمَعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ إِلَآنَ يَجِدُ لَهُ شَهَادَةً رَّضِيَّاً" (الجن/٩) ، وقوله : "وَفَقَ ما في الأرض" أي مثل ما في الأرض من الانقضاض والسقوط لأن أصنام الدنيا أصبحت منكوبة تلك الليلة ، و "ما" موصولة بمعنى الذي و قوله : "من صنم" بيان لها ، أي من جنس الصنم الصادق بالكثير ، والصنم والوثن بمعنى واحد وقيل الصنم ما كان مصورةً والوثن ما كان غير مصور وقيل : الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من غيره كنحاس .

(٧٠) قوله : "حتى غدا .. إلخ" أي ولم تزل الشهب تتنفس حتى إنه غدا إلخ فهو غاية لمحذوف و "حتى" بمعنى إلى وغدا بمعنى صار ، وقوله عن طريق الوحي : متعلق بمنهزم الواقع اسمأً لغدا ، وطريق الوحي : هو السماء ، والوحي : الكلام الخفي ، والكتاب والإشارة والرسالة والإلهام إلى غير ذلك ، والمنهزم : الهارب ، وقوله : "من الشياطين" بيان منهزم مشوب بتبعيض ، وقوله : "يقفوا إثر منهزم" أي يتبع إثر هارب آخر ، وحاصل المعنى ولم تزل الشهب ، تتنفس إلى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التي هي طريق الوحي يتبع إثر هارب آخر ، وهلم جراً .

(٧١) قوله : "كانهم هريراً .. إلخ" الضمير للشياطين ، وهريباً حال أي في حال كونهم هاربين ، والأبطال جمع بطل وهو الشجاع القوي جداً ، وسمى بطلاً لبطلان همم الشجعان عن ملاقاته ، أولاً لأن الدماء تبطل عنده ، فلا يؤخذ بثارها ، وأبرهة بالصرف للضرورة ، وإلا فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية ، ومعناه بسان الحبشة أبيض الوجه ، والمراد به هنا ملك اليمن ، والعسكر الجيش كما تقدم ، والحصى حجارة صغيرة صلبة والراحتان بطن الكف ، وقوله : رمى بالبناء للمجهول : صفة لعسكر ، ويتعلق به كل من قوله بالحصى ، وقوله من راحيته ، والمقصود تشبيه الشياطين في حال هريهم من الشهب بأبطال أبرهة أو بالعسكر الذي رمى بالحصى <>

< من راحته كثيراً ، والمصراع الأول إشارة إلى قصة أصحاب الفيل ، والمصراع الثاني إشارة إلى غزوة بدر ، على ما رواه البخاري من أن رمي الحصى كان في غزوة بدر أو إلى غزوة حنين على ما رواه مسلم ، من أن رمي الحصى كان في غزوة حنين ولا مانع من تعدد الرمي وأشار بقوله : "رمي" بالبناء للمجهول إلى أن النبي الكريم صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن باشر الرمي ظاهراً لكن الراميحقيقة هو الله ، قال تعالى : "وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكُنَّ اللَّهُ رَمَى" (الأنفال/١٧) ، ولما رواه كثيراً في جنوب الأعداء لم يبق منهم أحد إلا دخل التراب في عينيه ، وانهزموا جميعاً ، فتبعهم المسلمين يأسرونهم ويقتلونهم ، وحاصل قصة أصحاب الفيل أن أبرهة رأى الناس يتوجهون أثناء الموسم للحج : فقال : أين يذهبون ؟ فقيل : يحجون بيت الله بمكة ، قال : وما هو ؟ قيل من الحجارة ، فقال والمسيح لأبنين لكم بيتأ خيراً منه ، فبني لهم كنيسة (١) من الرخام الأسود والأحمر والأصفر ، وحللها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأراد صرف الحج إليها ، ومنع الناس من الذهاب إلى مكة ، فلما اشتهر الخبر عند العرب ، خرج رجل من كنانة مغضباً ، وتغوط فيها ، ولطخ قبليتها بالقدرة ، ولحق بأرضه فاغضب ذلك أبرهة وخلف لينقضن الكعبة حجراً حجراً ، وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسألة أن يبعث إليه فيه ، فلما قدم الفيل خرج في ستين ألفاً ، فلما بلغ المقصى (٢) (بضم الميم الأولى وفتح المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة أو مكسورة) أمر رجالاً بالفاراء إلى مكة فمضى إليها واستلق إبل قريش وغنائمهم ، فهموا بقتاله ثم عرفوا أنهم لا يطليقون قتاله فتركوه ، ثم لما تهيا أبرهة لدخول مكة بر크 الفيل فضربوه في رأسه ثابي أن يقوم ، فوجهوه إلى غير مكة فقام وهرول ثم وجهوه إلى مكة فبرك ، ثم أرسل الله عليهم الطيور الأبابيل مع كل طائر ثلاثة أحجار ، حجر في متقاربه والآخران في رجليه ، فذهبوا هاربين يتتساقطون بكل طريق وكان الحجر يصيب برأس الرجل فيخرج من دبره ومن أسفل مركوبه (٣) وإلى هذه القصة أشار سبحانه بقوله : "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ .." إلى آخر السورة.

(١) هي كنيسة القليس بضم الـكـاف وفتح اللـام المشددة ، قال في القاموس :  
وـكـقـيـطـ: بـيـعـة بـصـنـعـاء ، وـبـيـعـة بـكـسـرـ الـباءـ لـا بـفـتـحـهاـ كـمـاـ يـنـطـقـ النـاسـ .

(٢) المقصى كمعظم ومحدث عين بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة ويرجم .

(٣) يعني من أسفل الدابة التي يركبها .

نَبَذَا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمْ ۖ نَبَذَ الْمُسْبِحُ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْقَمٍ (٧٢)

(٧٢) قوله : "نبذا به .. إلخ" أي نبذه **كذلك** نبذأ إلخ فنبذا مصدر منصوب بفعل مجذوف من لفظه أو منصوب بقوله : "رمي" في البيت قبله فيكون العامل فيه موافقاً له في المعنى ، كما في قوله جلس قعوداً ، وقوله : "به" أي بالحصى وهو متعلق بـنبذا ، وقوله : "بعد تسبيح بيطنهم" أي بعد تسبيح الحصى في بطن كفيه **كذلك** وكأن الناظم وقف على ذلك أو أنه قصد التسبيح الثابت في غير ذلك كما رواه أنس حيث قال : أخذ النبي الكريم **كذلك** كثناً من حصى تسبيح في كفه حتى سمعنا التسبيح ، ثم وضعه في يد أبي بكر فسبح أيضاً ثم في يد عمر فسبح أيضاً ثم في أيدينا فما سبج ، وبذلك اندفع ما اغترض به بعضهم على المصنف ، من أنه لم يثبت أن الحصى الذي رمى به في يوم بدر أو حنين سبج في كفه قبل أن يرمي به ، وقوله : "نبذ المسبح من أحشاء ملقم" أي كنبذ المسبح الذي هو يومن عليه السلام ، من أحشاء الملقم له ، والأحشاء ما انضممت عليه الأضلاع ، وقيل الأمعاء والملقم له هو الحوت ، قال تعالى : "فَانْتَقْمِهِ الْحُوتُ ۚ وَهُوَ مُلِيمٌ ۗ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْبَحِينَ ۖ لَلَّبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُعْشَوْنَ ۖ فَنَبَذَنَاهُ بِالْمَرَاءِ ۖ وَهُوَ سَقِيمٌ" (الصافات/١٤٢-١٤٥) أي فابتله الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر ، وركوبه السفينة بلا إذن من ربها ، فلو لا أنه كان من المذاكرين كثيراً بقوله في بطن الحوت : "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيمة ، هالقيناه من بطن الحوت بوجه الأرض بالساحل من يومه ، أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوماً وهو على لسان كالفرخ الممعطر (المنتوف الريش) وقال تعالى : "فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ۖ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء/٨٧) ، أي فنادى في الظلمات الثلاث : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت بأن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين في ذهابي من بين قومي من غير إذن ، ومن راد المصنف التشبيه به في أن كل أمر خارق للعادة ، وفي كلامه من المحسنات (البدعية الاستبعاد ، لأنه يعد أن تكلم عن انقضاض الشهاب على الشياطين وتشبيههم في حال هريهم بأبطال أبرهة ، أو بالعسكر الذي رمي بالحصى من راحيته الشرifتين <<

## جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه على ساق بلا قدم (٧٣)

<> استتبع الكلام على تسبيح الحصى بكافيه ﷺ وحقيقة الاستباع أن يضمن كلام سبق معنى آخر كما في قول ابن نباتة :

ولابد من جهله في وصاله ❀ فمن لي بخل أودع الحلم عنده فإنه سيق للاخبار بكونه حكيمًا ، وضمنه الشكایة بأنه ليس في الإخوان من يودع الحلم عنده .

(٧٣) قوله : "جاءت لدعوته .. إلخ" أي أنت لطلبه الأشجار إلخ ، فالمجيئ : الإقیان ، والدعوة : الطلب ، والأشجار جمع شجرة ، وقوله : "ساجدة" حال من الأشجار والمراد بالسجود هنا معناه اللغوي ، وهو الخضوع وجملة قوله : "تمشى ، إلخ" إما حال من الأشجار ، فتكون حالاً متراداً ، أو من الضمير في "ساجدة" فتكون حالاً متداخلة ، وقوله : "على ساق" متعلق بتمشى والساقي ما تحت الفروع من الشجرة ، وقوله : "بلا قدم" صفة للساقي أو متعلق بتمشى ، وأشار بذلك لما روى أن أعرابياً سأله النبي الكريم ﷺ آية فقال له : قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك ، وأشار بذلك لما روى أن أعرابياً سأله النبي الكريم ﷺ آية وخلفها حتى قطعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها في الأرض فوقفت بين يديه ، وقالت السلام عليك يا رسول الله ، قال الأعرابي : مرها فلترجع إلى منبتها ، فأمرها فرجعت ، ودللت عروقها في منبتها فاستوت فيه (١) وفي بعض الروايات : فقال الأعرابي : إنذن لي أن أسجد لك ؛ فقال ﷺ : "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (٢) ، <>

(١) القصة بطولها ورمتها في كتاب : "الشفاء" للقاضي عياض رحمة الله تعالى في فصل : المعجزات .

(٢) وقوله ﷺ : "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" رواه بريدة في هذه القصة ، وروته السيدة عائشة رضي الله عنها أيضاً ولنقطه : "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولو أن رجلاً أمر امرأة أن تنتقل من جبل أحمر إلى جبل أسود ، ومن جبل أسود إلى جبل أحمر لكان نولها أن تفعل" (روايه ابن ماجة عن السيدة عائشة رضي الله عنها) .

كأنما سطّرت سطراً لما كتبَ

فروعها منْ بديع الخطّ باللّقم (٧٤)

مثل الغمامـة أتـى سارـ سائـرـة

تقـيـه حـرـ وـطـيـسـ لـهـجـيـرـ حـمـيـ (٧٥)

>> قال : فاذن لي أن أقبل يديك ورجليك فاذن له ، وإنما لم يأذن له بالسجود إذنًا بأن السجود لا يكون إلا لله ، لأن مكانه من الدين عظيم ، لما فيه من غاية الخضوع ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ ذهب يقضى حاجة الإنسان فلم يجد شيئاً يستتر ، وإذا بشجرته بشاطئ الوادي ، فانطلق إلى إحداهما فأخذ بعض أغصانها ؛ فقال : انقادِي معي بإذن الله فانقادت معه حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ ببعض أغصانها فقال : انقادِي معي بإذن الله فانقادت معه حتى إذا كان بالنصف مما بينهما لأم بينهما ، وقال لها : الثناء على بإذن الله ، فالتأمنـا ، ثم بعد انتهاء حاجة افترقـنا فقامت كل واحدة منها على ساق .

(٧٤) قوله : "كأنما سطّرت .. إلخ" هذا البيت لبيان اعتدالها في مشيها القويم وسلوكها السنن المستقيم ، والمعنى : كأنما سطّرت تلك الأشجار في حال مشيتها ، سطر للذى كتبته فروعها وهو الخط البديع ، أي الذي لم يعهد مثله ، الرسوم في اللّقم بفتح اللام والكاف أي وسط الطريق لكونها مشت على استقامة ، فلما لم يكن في مشيتها ميل ولا عوج شبه مشيتها على ذلك الوجه بتسطير الكاتب سطراً مستقيماً ليكتب عليه ، وعلم من ذلك أن "ما" في قوله لما كتبته موصولة ، والعائد محنوف و "من" للبيان ، والإضافة في قوله : "بديع الخط" من إضافة الصفة للموصوف ، وقد شبه أثر فروعها في الأرض ، المفيد للمعتبر ، كالأعرابي السابق بالخط الدال على اللّفظ المقيد للمتذبذب للمعاني على طريق التصریح .

(٧٥) قوله : "مثل الغمامـة .. إلخ" أي هي مثل الغمامـة إلخ فهو بالرـفع خبر لمبدأ محنـفـ ، ويصحـ قـراءـتـهـ بـالـنـصـبـ عـلـىـ أـنـهـ حـالـ عـنـ الأـشـجـارـ ،ـ أـيـ حـالـ كـوـنـهـاـ مـثـلـ الغـمـامـةـ إلـخـ ،ـ وـالـمـرـادـ أـنـ مـثـلـهــ يـقـيـدـ لـهــ مـعـجـزـةــ وـآيـةــ لـرـدـ المـعـارـضــ ،ـ فـقـدـ اـنـقـادـ لـهــ بـالـأـعـالـيــ <>

>> والأسافل ، فالأشجار من الأسافل والغمامه من الأعلى لأنها السحابة ، وقوله : "أني سار سائرة" أي في أي موضوع سار هي سائرة ، أو كيف سار هي سائرة ، فأنى بمعنى في أو موضع ، أو بمعنى كيف ، وعلى كل فسائرة بالرفع خبر لمبتدأ ممحظف ، ويصبح نصبه على أنه حال من الغمامه ، وجملة قوله : "تقيه" إلغ خبر ثان على الأول ، وحال ثانية على الثاني ، وقوله : "حرّ وطيس" أي حر الشمس الشبيهة بالوطيس في الحرارة ، فالوطيس في كلام المصنف مستعارة للشمس ، على طريق الاستعارة التصريحية ، وإن كان في الأصل هو "التور" وقوله : "لهجير" أي عند الهجير ، فاللام بمعنى "عند" وهو ظرف لحر وطيس ، أو لقوله تقيه ، والهجير والهاجرة بمعنى واحد ، وهو وسط النهار إذا كان حاراً ، وقوله : "حمي" يصبح جعله فعلًا ماضياً فتكون الجملة صفة لوطيس ، أو في موضع الحال من الهجير ، ويصبح جعله اسم فاعل بمعنى حام ، فيكون نعتاً للوطيس ، أو للهجير ويكون وصفاً كاشفاً ، وهذا البيت إشارة إلى ما روی من أن أبا طالب خرج إلى الشام ومعه النبي الكريم ﷺ في أشياخ من قريش ، إلى أن أشرفوا على بحيرة (فتح اليماء وكسر الحاء) الراهب وكان في صومعة ، فنزلوا عنده وحطوا رحالهم ، وكانوا يمرّون قبل ذلك فلا يخرج إليهم وفي هذه المرة خرج إليهم ، وجعل يتخلّلهم حتى جاء للنبي الكريم ﷺ فقال : هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذي يبعثه رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ قريش وما أعلمك بهذا ؟ فقال : إنكم من حين أشرفتكم من مكة والغمامه تظلّله ولم يبق حجر ولا شجر إلا ساجداً له و لا يسجدان إلا لنبي ، واني أعرفه بخاتم النبوة ، ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به كان ﷺ في رعاة الإبل فأرسلوا له ، فأقبل عليه غمامه تظلّله ، فلما جلس ، وكانوا قد سبقوه إلى فن الشجرة ، مالت عليه فقال أنظروا إلى فن الشجرة مال إليه (١).

(١) يقول المحقق رحمة الله ، وبهذا يكون هذا الراهب قد أسلم وهذا اجتهاد شخصي منه في نظري والله أعلم بالحقيقة .

أقسمت بالقمر المنشق إن لـ

من قلبه نسبة مبرورة القسم (٧٦)

(٧٦) قوله : "أقسمت بالقمر المنشق" أي أقسمت برب القمر لأن أهل الشرع يمنعون الحلف بغير الله تعالى ، وإن جرت عليه عادة الأدباء (١) لكن محل المنع في حقنا ، وأما في حقه تعالى فله أن يحلف بما شاء من مخلوقاته لأنها من آثاره ، قال تعالى : "والشمس وضحاها ووالقمر إذا ظلها" (الشمس/٣) وإنما عبر بالماضي دون المضارع إشارة إلى اعتقاد مطوي عليه منذ عقل ، وقوله : "المنشق" أي الذي انشق آية له ﴿إِنَّمَا يَرَوُهُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ، لأن أهل مكة سألوه آية فاراهم انشقاق القمر فلقتين ، فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه ، فقال رسول الله ﷺ : "أشهدوا" فقال كفار قريش : قد سحرنا محمد ، ذابعوا إلى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا ، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً ، فقال كفار قريش : هذا سحر مستمر ، فنزل قوله تعالى : "افتربت الساعَةُ وانشقَ القَمَرُ وَإِنْ يُرَوَّى آيَةٌ يَعْرُضُوا وَيَقُولُونَ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ" (٢) (القمر/٢١) وجملة قوله : "إن به الخ جواب القسم والضمير الأول للقمر المنشق ، والضمير الثاني للنبي الكريم ﷺ ، وقوله : "من قلبه" متعلق بنسبة ، وقدمه عليها للاهتمام و "من" بمعنى الباء ، والمزاد بالنسبة المناسبة والمشابهة في الانشقاق ، أما انشقاق القمر فقد علمته وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات وقد جمعها بعضهم في قوله :

وشق صدر المصطفى وهو في ﴿ داربني سعد بلا مرد

كشهقه وهو ابن عشر ثم في ﴿ ليلة المعراج وعند العشة

وزيد خامسة عند عشرين سنة ، ولكنها لم تثبت ، وقوله : "مبرورة القسم" أي أن القسم عليها مبرور فيه ، يقال بـ في يعنيه إذا صدق فيها ، والمتبادر أنه صفة للنسبة لكن جعله صفة لموصوف محدود دل عليه السياق ، والتقدير يعنيها مبرورة القسم وفيه شيء ، لأن اليمين بمعنى القسم فيصير التقدير قسمًا مبرور القسم ولا يخلو عن بركة ، إلا أن يقال : إنه من باب الإظهار في مقام الأضمار ، وقد علمت ما فيه الفنية عن ذلك .

(١) وأيضاً لأن حذف ما يعلم جائز لغة وإنما حذفت لاستقيم وزن البيت وأتي بالفظ القمر ليتكلّم عن انشقاقه بقوله "المنشق" والله أعلم .

(٢) وانشقاق القمر له لا يعارض فيه إلا مكابر ، لأن الحديث مروي في أغلب كتب الحديث ، وأولها صحيح البخاري كما ذكر صاحب "الشفاء" والقرآن صريح في ذلك .

## السندات التجارية عن وجهة نظر الشريعة الإسلامية

بقلم : خورشيد الشرف (تبليغ التدريسي) (كتاب)

### آراء العلماء عن السندات :

قد اختلفت آراء العلماء والباحثين في بيان الحكم الشرعي للسندات، بين قائل بمنتها كلها، وذاهب إلى جوازها جميعاً، ومغاير للحكم فيما بينهما ، ويمكننا أن نعرض هذه الآراء ووجهات النظر المتعلقة بهذا في اتجاهين رئисين :

الاتجاه الأول : أنه لا يجوز التعامل بجميع أنواع السندات بيعاً وشراءً .  
وإلى هذا ذهب غالبية العلماء المعاصرين (١) ، إلا أنهم اختلفوا في تحديد الأساس الشرعي الذي اعتمدوه في هذا التحرير :

أ- يرى معظمهم أن من قواعد التشريع الإسلامي أن كل قرض جر نفعاً فهو ربا، وهذا قرض جر ربحاً ثابتاً فهو من الربا ، حيث يقولون : إن السندات عبارة عن قروض على الجهة المصدرة لأجل محدد وبفائدة ثابتة ومحروفة ، وهذه الفائدة الثابتة مقابل الزمن هي عين ربا الديون الذي لا خلاف في حرمته، إضافة إلى أن بعض هذه السندات تجمع بين الربا والجهالة كالسندات لحاملها، وببعضها تجمع بين الربا والميسر كسندات الإصدار بعلاوة وسندات النصيبي، وكل هذا محروم بنص صريح في القرآن الكريم (٢) .

ب- في حين يرى آخرون أن علة التحرير ليست كونها قروضاً جرّت منافع ، لكن العلة هي كونها ترتب لحاملها فوائد ثابتة ، دون تحمله في الخسارة ، يقول د. أحمد يوسف : "والسبب في رفضي لها ليس لأنها قروض جرّت منافع ، وكل قرض جر نفعاً فهو ربا" إلى أن يقول : "لكنني

أرفض شراء السندات أو بيعها، لأنها ترب لحاملاها فوائد ثابتة، دون تحمله في الخسارة، وهذا يتناقض مع كثير من مقررات التشريع الإسلامي التي منها (لا ضرر ولا ضرار) (٣) فالشركة عندما تخسر - وهذا احتمال وارد - ، فإنها تدفع لصاحب السند أرباحه ، وهذا ظلم، إذ كيف يأخذ أرباحاً على مال لم يربح، ولأن هذا يتناقض مع قاعدة أخرى هي "الفنم بالغنم" (٤) .

فالطرف الذي يتحمل أن يربح إذا ربحت المؤسسة ينبغي أن يتحمل في الخسارة أيضاً إذا خسرت، وهذا هو العدل وغيره ظلم، والظلم منهي عنه شرعاً وعقولاً وعرفاً وقانوناً" (٥) .

الاتجاه الثاني : يذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بجواز التعامل بالسندات بيعاً وشراءً، إلا أنهم مع اتفاقهم على هذا القدر المشترك ، اختلفوا في تحديد الأساس الشرعي الذي اعتمدوه في هذا القول:  
 ١- يرى معظم هؤلاء أن السندات لون من ألوان المضاربة الشرعية ، ذلك لأن تكييف السندات بأنها قراض ومضاربة أولى من تكييفها بأنها قرض ، لأن الشركات تأخذ هذه الأموال ل تستثمرها مع أموالها ، وفي هذه الحالة يكون حامل السند مضارياً والشركة أو المؤسسة هي العامل الذي يستثمر هذا المال ، وهذا هو عين المضاربة والقراض (٦) .

يناقش هذا بأن المضاربة الشرعية لا تتم إلا بتوافر أمرين أساسين :  
 الأول: أن الفقهاء قد اتفقوا على أن حصة رب المال والعامل في المضاربة يجب أن تكون شائعة، أو مقدرة بنسبة معينة من الربح، وأنه متى كانت الحصة لأي منها مقدرة ومحددة بمقدار معين ومحدد ، كانت المضاربة باطلة (٧) .

فقد نص الفقهاء على أنه "متى جعل نصيب أحد المتعاقدين دراهم معلومة كانت المضاربة باطلة باتفاق الفقهاء" (٨). وحامل السند - كما هو معلوم - له حصة ثابتة ومحددة ، هي الفائدة .  
 وأما ما قيل من أن اشتراط الفقهاء لهذا ليس له دليل من كتاب أو سنة (٩) .

فيجيب عنه بأن الفقهاء قد أجمعوا على هذا، والإجماع حجة ، قال ﷺ : "لا تجتمع أمتي على ضلاله" (١٠) فالخروج عليهم هو خروج على إجماع الأمة .

الثاني: من المعلوم لدى الفقهاء أن المضاربة مبنية على الأمانة ، ويد العامل فيها يد أمانة ، فإذا هلك المال الذي في يده بدون تعد منه ولا تقصير هلك على صاحبه ولا ضمان على العامل، فإذا اشترط صاحب رأس المال ذلك على العامل ، كانت المضاربة ضلالة عند الشافعية والحنابلة والإمامية (١١) ، أو كانت المضاربة صحيحة والشرط قاسد عند الحنفية والمالكية (١٢) ، علمًا بأن قيمة السند مضمونة على الجهة التي أصدرته، ربحت تلك الجهة أم خسرت، وعليه فلا يكون هذا من المضاربة .

#### بـ- يرى بعض القائلين بجواز السندات ما يأتي :

بالرغم من أن هؤلاء يقررون بأن السندات قروض، إلا أنهم يذهبون إلى القول بجواز نفع القرض مشروطًا كان أو لا ، وأن ذلك ليس من الربا المحرم، معتمداً في ذلك على ما أفتى به بعض متاخرى الحنفية من جواز تحديد منفعة مالية على القروض من قبل السلطان ، ولم يجيزوا للناس أن يتتجاوزوا الفائدة التي حددها السلطان، وسموا هذا البيع بـ"بيع المعاملة" (١٣) . وعلى هذا الأساس فإن طرح السندات من قبل الدولة عن طريق الاقتراض العام جائز شرعاً عند هؤلاء (١٤) .

والحقيقة هي أن القرض المشروط النفع هو أصل من الأصول الريوية المحرمة، وأما القرض الذي يجر نفعاً فهو حرم إن كان مشروطاً ، وجائز ومندوب إن لم يكن مشروطاً ، بل من باب حسن القضاء الذي كان يفعله ﷺ (١٥) .

وأمامن فتوى بعض متاخرى الحنفية من جواز تحديد منفعة على القرض من قبل السلطان؛ فإن هذه الفتوى لاترقى إلى مرتبة الدليل، بل هي من المسائل الخلافية حتى عند فقهاء الحنفية (١٦) ، فلا اجتهاد في مورد النص (١٧) .

إضافة إلى ذلك فإن بيع المعاملة الذي ذكره هؤلاء الفقهاء محل نظر، ذلك لأنه يجيز للبائع، بواسطة ما سموه بشرط الوفاء ، الحق فيأخذ

السلعة وارجاعها إلى ملكيته متى أعاد ثمنها إلى المشتري في المدة المتفق عليها، وهذا يعني كما هو واضح عدم استقرار الملك في كل من العوضين على وجه اللزوم والاستقرار، بحيث لا يكون للبائع سلطان علىأخذ المبيع واسترداده بدون رضا المشتري ، وفوق هذا فإنه يتضمن فائدة مقصودة للشارط وهو البائع، إذ به يتوصل إلى إرجاع ملكه الذي قد يكون راغباً في بقائه، كما أنه لم يرد في الشرع ما يدل على جوازه ، ولكن جرى العرف على التعامل به (١٨) .

ج- في حين يرى آخرون من القائلين بجواز هذه العملية أن السندات قروض إنتاجية لا يشملها الربا، ويقولون: إن الربا المحرم بالقرآن متعلق بالقرض الاستهلاكي لما فيه من استغلال لحاجة المدين الضعيف، وأما القرض الإنتاجي فلا استغلال فيه لحاجة أحد، وإنما هو عقد رضى به الطرفان، فالشركات تأخذ هذه الأموال لا لتسد بها حاجة أو تدفع بها ضئفة، وإنما تستثمرها مع أموالها ، وعلة الربا هي استغلال المقرض للمقترض، وهذه العلة منافية في القرض الإنتاجي الذي يوظف في المشروعات الإنتاجية ، وعليه فتكون الفائدة مباحة (١٩) .

ويمكن الاعتراض عليه بعدة أوجه :

- ١- أن النصوص التي وردت في تحريم الربا سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية، لم تفرق بين قرض استهلاكي وقرض إنتاجي، بل قررت أن كل زيادة على رأس المال هي من قبل الربا المحرم (٢٠) .
- ٢- أن العبرة في التحريم هي وجود حقيقة الربا وعناصر تتحقق شرعاً مكونة لعلة تحريمه ، وليس من بين هذه العناصر إعسار الدين أو أخذه القرض أو الدين لحاجة شخصية. والمقرر بلا خلاف هو أن الربا لم يكن حراماً لصورته ولفظه، وإنما كان حراماً لحقيقة التي امتاز بها عن حقيقة البيع، فتلك الحقيقة حيث وجدت وجد التحريم في أي صورة ركبت وبأي لفظ عبر عنها .

- ٣- الثابت من وقائع التعامل في العصر الجاهلي أن القروض الاستثمارية بالربا كانت شائعة بينهم، وأن المرابين من اليهود وأغنياء المشركين كانوا يقرضون بالربا بقصد الاستثمار في التجارة، ومن المقرر تاريخياً أن هذا النوع

من القروض الإنتاجية كانت موجودة في تلك الحقبة التاريخية، حيث كانت قريش تمول القوافل التجارية بالقروض الإنتاجية ، مثل قافلة أبي سفيان ، كذلك كان الأغنياء أمثال : عثمان بن عفان ، والعباس بن عبد المطلب وخالد بن الوليد <sup>رض</sup> كانوا يقرضون التجار بالرياح في أيام الجاهلية (٢١) .

وهكذا يتضح أن الإسلام لا يفرق في التحريم بين الفوائد على القروض الاستهلاكية والإنتاجية، وأن الأدلة التي سبقت في جواز هذه العملية ضعيفة واهية.

د- يعلل بعض القائلين بجواز السنادات أن هذه المعاملة لم تكن موجودة في عهد نزول التشريع، فهي عقد مستحدث، فتأخذ حكم المسكت عنه ، وهو أن الأصل في المنافع الإباحة، وفي المضار المحظر، فتكون مباحة (٢٢) .

ويرد على هذا بأن العقد إذا كان له اشتراك بعقد معين من العقود المعروفة شرعاً الحق به، فقد الاستثمار في السنادات هو محل بحثنا، إذ يرى له اشتراك وشبه بعقد المضاربة من ناحية أن المال في كل منها من طرف، والعمل فيه من طرف آخر، والاشتراك في أركان العقد وعناصره ومغناطه وغرض التعاقددين منه، يوجب إلحاقه بشبيهه، واعتباره صورة من صور المضارب، إذ ليس بعد هذا الوفاق اختلاف جوهري يستوجب التغاير والتعدد، ولهذا يجب أن يتتوفر في هذه الصورة جميع الشروط التي اشتطرتها الفقهاء في عقد المضاربة، ولما كان تخريج السنادات على عقد المضاربة غير جائز لمحذوريتها، فإنه لا يجوز تخريجها، على كونها عقداً مستحدثاً مباحاً (٢٣) .

هـ- يذهب بعض القائلين بجواز التعامل بالسنادات، بأن ذلك للضرورة، بل إن بعضهم من جعل الحاجة بمنزلة الضرورة (٢٤) . يقول الشيخ محمود شلتوت: "أما السنادات وهي القروض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة ، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت الضرورة الواضحة التي تفوق أضرار السنادات التي يعرفها الناس ويقررها الاقتصاديون" (٢٥) .

و يقول الدكتور محمد يوسف موسى أحد القائلين بجوازها للضرورة : "إني أرى والعلم لله وحده، أنه لا يجوز شرعاً أن يتسع تاجر أو صانع أو صاحب أي مؤسسة أو شركة في أعماله معتمداً على الاقتراض بفائدة ، ولكن هنالك مشاريع عمرانية لابد منها للبلد تقوم بها الدولة أو بعض الأفراد .

وهناك شركات صناعية تقوم بأعمال حيوية للأمة لا تستغني عنها بحال ، ويتوقف على هذه الأعمال كثير من المرافق العامة القومية ، فهذه المشروعات والشركات والمؤسسات العامة وأمثالها يجب أن يسندها القادة بمساهمة فيها على الوجه الذي لا خلاف في جوازه شرعاً ، أى بأن يكونوا أصحاب أسهم لا سندات ... فإن لم يكن هذا ممكناً ، وكان من الضروري أن تظل قائمة بأعمالها التي لا غنى للأمة عنها ، كان لها شرعاً إصدار سندات بفائدة مضمونة تدفع من الأرباح التي لا شك في الحصول عليها من المشروع ، ما دام لا وسيلة غير هذه تضمن لها البقاء ، ومادام وجودها وبقاؤها ضرورياً للأمة" (٢٦) .

وبالنظر في ما قاله هؤلاء العلماء الأفاضل ، فإننا نرى أن المبررات التي قدموها - رغم وجاهتها - لا تكفي لتبرير العمل بالسندات؛ لأنها لا ترتفع إلى مرتبة الضرورة؛ ذلك لأن المصالح الضرورية التي قصد الشارع المحافظة عليها هي : "ما لابد منه في حفظ الأمور الخمسة : الدين ، والنفس ، والمال ، والعرض ، والعقل" (٢٧) .

كما أن من الضوابط التي وضعها علماء أصول الفقه الإسلامي

للعمل بهذه القاعدة هي :

- أن لا يكون للمضطر وسيلة يدفع بها ضرورته إلا مخالفة الأوامر والنواهي الشرعية .

- وأن تكون الضرورة قائمة بالفعل لا متوقعة أو متوقعة (٢٨) .

وكذلك هناك وسائل أخرى يمكن دفع الضرر بها ، حيث يوجد أمام الشركة أكثر من سبيل مباح لتوفير المال اللازم لها غير السندات ، كإصدار أسهم جديدة ، أو تحويل السندات إلى أسهم ، أو التأجير التمويلي للأصول والمعدات الرأسمالية أو غير ذلك .

كما أن الضرورة متفقية في حق مشتري السندي أيضاً لأن الطرق المباحة لاستثمار المال لم تضيق به حتى يلجم إلى أكل الربا ، ويلحقه اللعن والطرد من رحمة الله تعالى .

الترجيح:

بعد عرض آراء العلماء وأدلتهم ومناقشة بعضها في التعامل بالسنادات بيعاً وشراءً أميل إلى الاتجاه الذي يرى أن السنادات لا يجوز التعامل بها شرعاً، وذلك لما يأتي :

الأول: أن السنادات هي في الحقيقة تمثل قرضاً بزيادة مشروطة، ومن المسلم به لدى علماء الفقه أن المنفعة المشروطة على القرض هي أصل من الأصول الربوية .

الثاني: أن حامل السندي يستحق فوائد ثابتة دون أن يتحمل أي نصيب في الخسارة وهذا يتناقض مع كثير من مقررات التشريع الإسلامي، كحديث (لا ضرار ولا ضرار) و (الخروج بالضمان) ، وقاعدة فقهية "الفنم بالغنم" .

الثالث : أن الحاجة لا تبيح المحرمات، ولو أبخنا المحرمات لأجل الحاجات لا أصبح معظم المحرمات مباحة، وأما الضرورة، فليس للشركة ضرورة في الاقتراض بفائدة، فهي بعيدة كل البعد عن حد الضرورة التي تبيح المحرم، حيث إن لها أن تتinosع في نشاطها وتزيد رأس مالها بطرق أخرى غير تلك الطريقة المحرمة .

الرابع : أن السماح ببيع أو شراء السنادات، حتى لو كانت العملية ناجزة وحالة، سيؤدي إلى وجود طبقة تعتمد على أن المال يولد المال، بينما المفروض أن العمل هو الذي يثمر المال (٢٩) .

كما أيد هذا الرأي مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمر السادس بجدة، حيث جاء في قراره: "إن السنادات التي تمثل التزاماً بدفع مبلغها مع فائدة منسوبة إليه أونفع مشروط محمرة شرعاً من حيث الإصدار أو الشراء أو التداول؛ لأنها قروض ربوية سواء أكانت الجهة المصدرة لها خاصة أو عامة ترتبط بالدولة، ولا أثر لتسميتها شهادات أو

صكوكاً استثمارية أو ادخارية أو تسمية الفائدة الريوية الملزם بها ربيحاً أو ربيعاً أو عمولة أو عائدًا" (٣٠).

من هذا المنطلق أرى أن بيع أو شراء السندات في سوق الأوراق المالية لا يجوز حتى ولو كان حالاً، ولذا ينبغي استبدال هذه العملية بالطرق الأخرى المشروعة والمحبحة.



### المواضيع :

- (١) منهم : الشيخ عيسوي في "التعامل في الأوراق المالية من وجهة نظر الشريعة الإسلامية" ص ٤٨ وما بعدها ، والأستاذ محمد باقر الصدر في "البنك الاريوي في الإسلام" ص ١٦٢ - ١٦٣ ، و د. يوسف القرضاوي في "فقه الزكاة" ٥٢١/١ ، و. د. وهبة الزحيلي في "الفقه الإسلامي وأدله" ٧/٤٠٧ ، و. د. علي السالوس في "المعاملات المالية المعاصرة في ميزان الفقه الإسلامي" ص ٤٠٧ ، و د. علي القرة داغي في "بحوث في الاقتصاد الإسلامي" ص ٣٢٧ ، و. د. محمد الشحات الجندي في "معاملات البورصة في الشريعة الإسلامية" ص ٢١٠ - ٢١١ ، و. د. محمد عثمان شبير في "المعاملات المالية المعاصرة" ص ١٧٩ ، وما بعدها ، و د صالح البقumi في "شركة المساهمة في النظام السعودي" ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ، و د.أحمد يوسف في بحثه "رأي التشريع الإسلامي في مسائل البورصة" ٤٥٥/٥ من الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية ، و د.حسين شحاته في "الضوابط الشرعية للتعامل في سوق الأوراق المالية" ، ص ٢٧ ، و د.عبد العزيز الخياط في "الأسهم والسندات من منظور إسلامي" ص ٥٧ ، و د.محمد عبد الحليم عمر في بحثه "الشركات العاملة في مجال الأوراق المالية" ص ٦٤ ، و د.محمد القرني عيد في بحثه "الأسواق المالية" ١٥٩٧/٢ ، العدد السادس من مجلة مجمع الفقه الإسلامي ، و د.محمد عبد الغفار الشريف في بحثه "أحكام السوق المالية" ١٢٩٢/٢ ، من المجلة السابقة ، و د.محمد الحبيب جرایة في بحثه "الأدوات المالية التقليدية" ١٥٢٢/٢ من المجلة السابقة روا .سمير عبد الحميد رضوان في "اسواق الأوراق المالية" ص ٣٠١ ، كما انتهى إليه كل من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في مؤتمره عام ١٤٨٥ هـ ١٩٦٥ م في شأن المعاملات المصرفية ، ومجمع الفقه الإسلامي بجدة في قراره رقم ١١/١٢/٦ بشأن السندات .
- (٢) انظر : الفقه الإسلامي وأدله ٥٣٧/٧ ، الأسهم والسندات ص ٥٧ ، الضوابط الشرعية

للتعامل، ص ٢٧ ، المعاملات المالية المعاصرة من ٢٠٧ ، نظرية الإسلام الاقتصادية ، عبد السميم المصري من ٧٧ ، آثار وطرق استثماره في الإسلام ، شوقي عبده الساهي من ٢٢٣ ، المعاملات المصرفية في الفقه الإسلامي ، عباس علي كاشف ص ٣٦ : معاملات البورصة محمد الجندي من ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) هنا حديث رواه ابن ماجة في سننه (٧٨٤/٢) - كتاب الأحكام ، باب من بني قيادة حقه ما يضر جاره ، (٢٣٤) ، والدارقطني في سننه (٢/٧٧) - كتاب البيوع ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٩/٦) - كتاب الصلح ، باب لا ضرر ولا ضرار ، والحاكم في المستدرك (٦٦/٢) - كتاب البيوع ، ح (٢٣٤٥) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد وواقفه النهبي ، وقال التنوبي : هو حسن . انظر : الأذكار من كلام سيد الأبرار من ٤٣٣ .

والضرر : خلاف النفع ، والضرر من الاثنين ، فمعنى ليس لأحد أن يضر صاحبه بوجه ولا لاثنين أن يضر كل منهما بصاحبه ، ظنًا أنه من باب التبادل ، فلا إثم فيه .

(٤) والضرر : هو ما يلزم المرء لقاء شيء ، من مال أو نفس ، مقابل بالضرر وهو ما يحصل له من مرغويه من ذلك الشيء . (انظر : شرح القواعد الفقهية ، أحمد الزرقاء ، ص ٤٣٧) .

(٥) رأى التشريع الإسلامي في مسائل البورصة (٤٣٦/٥) من موسوعة البنوك الإسلامية ، وانظر أيضًا : الفقه الإسلامي وأداته ، الزحيلي (٧/٤٣٧) ، معاملات البورصة ، الجندي من ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٦) ذهب إلى هذا كل من : الشيخ عبد العظيم بركة في بحثه المقدم إلى مجتمع البحوث الإسلامية عام ١٩٧٦ ، والإمام محمد عبده في فتواه التي ذكرها الشيخ وشید رضا في تفسير المنار ١١٦/٣ ، والشيخ عبد الوهاب خلاف في بحثه في مجلة نواء الإسلام من ٧٢٦ العدد ١٢/١١ السنة الرابعة ١٩٥١ ، والدكتور محمد سيد ملنطاوي في معاملات البنوك وأحكامها الشرعية من ١٨٣ ، وانظر أيضًا : رأى التشريع الإسلامي ، أحمد يوسف (٥/٤٣٥) ، المعاملات المالية المعاصرة ، محمد رواس من ٦٧ - ٦٨ دار التقاضي بيروت ، معاملات البورصة ، الجندي ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٧) انظر في ذلك : شرح فتح القدير (٧/٦٠) ، تكميله رد المحتار (٨/٢٨٤) ، بدایة المجهود (٢/١٧٩) - ١٨٠ ، الخريشي على مختصر خليل (٦/٢٠٣) ، المجموع (١٤/٣٦٦) ، المغني (٥/٢٨٨) - ٣٩ ، المحل (٩/١١٧) - ١١٨ ، الإنصاف (٥/٤١٢) ، مفتاح الكرامة (٧/٤٥٤) .

(٨) حاشية البجيرمي على المنهج ٣/٤٨ .

(٩) المصاروف والأعمال المصرفية في الشريعة الإسلامية والقانون ، غريب الجمال من ١٤١ ، دار الاتحاد العربي ١٩٧٦ .

(١٠) رواه الترمذى في سننه (٤/٤٦٦) - كتاب الفتن ، باب ما جاء في نزوم الجمعة ، ح (٢١٧٢) ،

وابن ماجة في سنته (١٣٠٢) - كتاب الفتن باب السواد الأعظم ، ح (٣٩٥) قال الترمذى : هذا حديث غريب من طريق سليمان المدى ، وقد روى عنه أبو داود الطيالسى وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم . وقال البيشمى : رواه أحمد والطبرانى وفيه راو لم يسم (مجمع الزوائد ٢٢١/٧ - ٢٢٢) .

(١١) انظر : المجموع ٤١٧/١٣ وما بعدها ، المفتني ٦٨/٥ ، مفتاح الكرامة ٤٢٥/٧ .

(١٢) انظر : البداية شرح الهدایة ٦٥٤/٧ ، شرح فتح القدير ٥٨/٧ - ٥٩ ، المدونة الكبرى ١٠٩/١٢ ، بداية ١٧٨/٢ .

(١٣) رد المحتار ، ابن عابدين ١٧٥/٤ .

(١٤) الأصول والسدادات من منظور إسلامي ، الخياط ص ٦٤ - ٦٥ ، البنك الاريوبى في الإسلام ، بالقرصان ١٦١ - ١٦٣ ، المصارف والأعمال المصرافية ، غريب الجمال ص ١٥٠ .

(١٥) فقد ورد عن رسول الله ﷺ فيما يرويه أبو رافع : "أن رسول الله ﷺ استسلف من رجل يكرا ، فقدمت إليه إيل من الصدقة ، فأمر أبا رافع أن يقضى الرجل بكره فرجع إليه أبو رافع فقال : لم أجد فيها إلا خياراً رياحياً ، فقال : أعطه إيماء ، إن خيار الناس أحسنهم قضاء ، رواه مسلم في صحيحه (ص ٧٩٥) - كتاب المساقاة - باب من استسلف شيئاً قضى خيراً منه ، وغيركم أحسنكم قضاء (١٦٠٠) .

(١٦) حيث جاء في الصفحة نفسها عبارة (وعليها العمل) وفي هذا إشارة إلى أن هناك راياً مخالفًا لهذه الفتوى.

(١٧) الشروط الشائعة في المعاملات وأحكامها في الشريعة والقانون ، ذكي الدين شعبان ص ٣٦١ مجلة القانون والاقتصاد العدد ٤٣ السنة الخامسة والأربعون - جامعة القاهرة ١٩٥٧ .

(١٨) المرجع السابق ص ٣٦١ .

(١٩) من ذهب إلى هذا الرأى د . معروف الدوالبي في بحث قدمه إلى مؤتمر الفقه الإسلامي بباريس سنة ١٩٥١ ، و د . محمد سلام مذكور في بحث له قدمه إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٩٧٦ ، و د . أحمد شلبي في الإسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة ص ٧٣ - ٧٤ دار الاتحاد العربي للطباعة ١٩٨٠ ، و د . عبد المنعم النمر في الاجتهاد ص ٣٠٩ ، دار الشرق بالقاهرة سنة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ ، و د . محمد سيد طنطاوي في معاملات البنوك ص ١٨٣ والشيخ عبد الرحمن عيسى في المعاملات الحديثة وأحكامها ص ٧١ - ٧٢ مطبعة مخيم بالقاهرة بدون تاريخ ، وانظر أيضًا : مصادر الحق ، السننوري ٢٥٩/٣ - ٢٦٠ ، الفتوى الإسلامية في القضايا الاقتصادية ، كتاب الأهرام الاقتصادي ص ٩١ وما بعدها العدد ٣٦ إبريل ١٩٩٠ ، المصارف والأعمال المصرافية ،

- الجملاء ص ١٤٠ .
- (٢٠) انظر : العلاقات المصرفية المعاصرة ورأي الإسلام فيها ، محمد عبد الله العربي ص ٧٩ ، والتكييف الفقهي ، محمد عيسى ص ٨٩ ، تنمية أموال ، أميرة مشهور ص ٥٩ .
- (٢١) انظر : تفسير الطبرى ٣ / ٧٠ وما بعدها ، تفسير الرازى ٩١ / ٧ ، المقدمات ، ابن رشد ٢ / ٥٠٤ .
- الفتاوى ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .
- (٢٢) ذهب إلى هذا : الشيخ ياسين سويم طه في بحثه المقدم للمؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، انظر : المصارف والأعمال المصرفية ، الجمال : ص ١٣٩ ، وقد أيد هذا الرأي الدكتور محمد طنطاوي في كتابه معاملات البنوك : ص ١٧٩ .
- (٢٣) المعاملات المصرفية في الفقه الإسلامي ، عباس كاشف : ص ٣١٢ - ٣١٣ .
- (٢٤) منهم على سبيل المثال لا الحصر ، الشيخ محمود شلتوت في الفتاوى : ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ، د. عبد الرزاق السنوسي في "مصادر الحق" : ٢٥٩ / ٣ ، و د. محمد يوسف موسى في "الإسلام ومشكلاتنا المعاصرة" ص ٦٢ ، وانظر أيضاً : موقف الشريعة من المصارف الإسلامية المعاصرة ، عبد الله العبادي : ص ١٣٤ ، الاتحاد الدولي للبنوك ، المعاملات المالية المعاصرة ، شبيه : ص ١٨٤ ، والأسهم والسنادات ، الخياط : ص ٦٤ .
- (٢٥) الفتاوى : ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .
- (٢٦) الإسلام ومشكلاتنا المعاصرة ص ٦٢ .
- (٢٧) المواقف ، الشاطبي ٢ / ٨ - ١٠ .
- (٢٨) انظر : قواعد الفقه ، عبد العزيز عزام ص ١٢٦ ، دار البيان للنشر بالقاهرة ، قواعد الفقه الكلية ، عبد الفتاح النجار ص ٨١ بدون ناشر معروف ، أصول التشريع الإسلامي ، علي حسب الله ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، أصول الفقه الإسلامي ، وهبة الزحيلي ص ١٠٢ - ١٠٢ .
- (٢٩) لست أعني بذلك هو حرمة نماء المال من أموال ، ولكنني أعني : أن الأساس : أن العمل هو الذي يشعر وينمي المال ، مستندًا في ذلك إلى الأحاديث الواردة بهذا الشأن ، منها قوله ﷺ : "ما أكل أحد طعامًا قط خيراً من أن يأكل من عمل يده" وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده" (رواه البخاري في صحيحه ٧٣٠ / ٢ - كتاب البيوع ، باب حكم الرجل وعمله بيده ، ح ١٩٦٧) ، وسئل رسول الله ﷺ أي الكسب أطيب أو أفضل ؟ قال : "عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور" رواه البيهقي في السنن الكبرى (٤٣٢ / ٥ - ٤٣٣) كتاب البيوع ، باب إباحة التجارة ، ح ١٠٣٩٧، ١٠٣٩٨ ) . قال البيهقي : حديث مرسل ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات . (مجمع الزوائد ٦١ / ٤) .
- (٣٠) مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد السادس ١٧٢٥ هـ .

## أبوالحسن علي الحسني الندوبي وجهوده في الفكر والدعوة

(الحلقة الخامسة)

يكلم : الأستاذ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوبي

تعریف : محمد خالد الباندوی الندوی

الثورة على قاطر الكون :

تقديم فيما سلف أن الحضارة الأوروبية طبعت على معاادة الدين والعلم ، والكفر بعقيدة البعث والنشر فثبتت هذه الحضارة واختمرت مع الإلحاد والإفساد والمادية البحثة والإيمان بالمحسوس وإنكار كل ما سواه ، يقول الشيخ الندوبي :

"فالجمع بين القوة المأثلة وتسخير القوى والأسباب ، والاستيلاء على الكون وبين الكفر والمادية ، طابع الحضارة الغربية وسمتها وشعارها ، فلم نعرف حضارة بلغت من القوة والتقديم وإخضاع القوى والأسباب ، ومن محاربة الأديان والأخلاق ، والثورة على قاطر الكون وشرائعه ، والدعوة إلى عبادة المادة والنفس والشهوات ، وإدعاء الريوبوبيّة ، ما بلغت هذه الحضارة" (الصراع بين الإيمان والمادية : ص/ ١١١).

ومما تمتاز شخصية الشيخ الندوبي أنه ركز اهتمامه البالغ على دراسة جوانب الحضارة الغربية بأجمعها ، وأطال الكلام في الكشف عما فيها من الجوانب المرذولة واحدة تلو أخرى ، فجاء نقده عليها من الوجهة العلمية نقداً واقعياً محكماً ، كما توجه إلى بيان الأسباب والوسائل الحديثة التي استخدمها الغرب لغزو على الدين الإسلامي وحضارته الخالدة ، وأرشد معها إلى طريق المقاومة والكافح لهذا الغزو الفكري الرهيب من الغرب . عداء أوروبا للإسلام :

اعتبر الغرب الإسلام أعدى عدوه دوماً ، لأنه يخاف على نفسه وسيادته من صلاحيته للقيادة البشرية ، وقدرته على إدارة الحكم وتقديم الحلول ، فإنه يخاف مما إذا تهيأت للإسلام الأوضاع وسلمت له الحال ينتزع

من الغرب مكانته القيادية ، ويأتي على حكمه وقوته ، ويستأصل شأفتة من جذوره ، فلم يدخل وسعاً في قطع صلة المسلمين عن إسلامهم وتشويه صورته في أذهانهم ، وهجم عليهم هجوماً عنيفاً عن طريق الاستعمار والتغريب والتبيير ، فنهضت طائفة من المستشرقين كان من هدفها الأساسي الإساءة إلى المسلمين ، وحضارتهم وتاريخهم المجيد بوسيلة التدجيل والتلفيق .

يشهد كل مقال من مقالاته وكل محاضرة من محاضراته على أنه لفت عنایته على تحديد مراصد الحضارة الغربية الكامنة التي تهجم منها على عقيدة المسلم وقيمه الإنسانية ومهمته الدعوية .

فالدول الإسلامية التي استولى عليها الاستعمار الغربي قد بذل فيها الجهد لتجريد الطبقة المثقفة من المسلمين عن عقائد دينهم الأساسية ، وإدخالهم في طحون نظام الفكر الغربي ، ولما كانت هذه الدول في قبضة الاستعمار الغربي تمت فيها نواياها بكل سهولة ويسر ، وتمخض من ذلك أن نشأ في البلدان العربية الإسلامية نفسها جيل كان عبيداً للغرب عقيدةً وسلوكاً ، فكراً وثقافةً ، ثم حصل لها التحرر من سيطرة الغرب وتحول زمام القيادة إلى هؤلاء العبيد ، وما جرى في تونس والجزائر أكبر شاهد على ذلك .

وأما الدول التي كانت غير خاضعة لنظام الغربي لم تستطع أيضاً التخلص بنفسها من الفكرة الغربية للدين والعلم ، لأن الكتاب والباحثين الغرب وفروا مواد فكرية مسمومة أثارت الشكوك والشبهات في أذهان القراء الدارسين حول إسلامهم وعقيدتهم وحضارتهم ، ولا يكلفهم ذلك شيئاً كبيراً من الجهد .

تركز نشاط الشيخ الندوبي في جميع كتبه ومحاضراته على كشف الدسائس الغربية والدعوات الهدامة ، والمخططات المفرضة التي تحاك ضد الإسلام ، وخاصة على مواجهة "الاستشراق" وبيان مدى خطورته للحضارة الإسلامية ، فأفرد في هذا الموضوع بحثاً قيماً أسماه : "الإسلام والمستشرقون" نشرته مؤسسة "الرسالة" في بيروت باسم : "الislam et les musulmans" ، وعلاوة على ذلك ألف عديداً من كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين" ، وعلاوة على ذلك ألف عديداً من

الكتب والأبحاث العلمية الدقيقة التي أسهب فيها القول عن الاستشراق  
بأسلوب جاد عادل متوازن لا هزل فيه ولا سخرية ، ومن أفضليها كتابه :  
"الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية".  
الاستشراق :

إن الاستشراق له تاريخ طويل ، وهو في الحقيقة امتداد للحروب  
الصلبية ضد الإسلام وحقائقه الناصعة ، وقد نشطت حركة الاستشراق  
وبلغت أشدّها في صورة حركة تابعة للكنيسة تهدف إلى توجيه المطاعن  
المفقة عن الإسلام وتضليل الشباب المسلمين المثقفين الذين يتلمذون على  
الغرب ويعتمدون عليه في بحثه ودراسته ، فقامت أوروبا برعاية حركة  
المستشرقين ، وهيات لهم الفرص لدراسة التراث الشرقي في معتقداته  
وآدابه ، والتخصص في علوم الدين الإسلامي من عقيدة وشريعة ، ففكروا  
على الدراسة والتعليم ، وحصلت لهم البراعة والتطلع من العلوم الشرقية ، و  
وفرروا مكتبة عظيمة ضخمة بإبداعاتهم وأبتكاراتهم النادرة ومؤلفاتهم  
العلمية ، إلا أنهم دسوا في كتاباتهم مقداراً خاصاً من "السم" بحيث لا  
يستوحش القارئ المسلم الساذج ، ويتأثر بمفتيّاتهم وأباطيلهم من دون أن  
يشعروا بها ، وينطلق لسانه بمدحهم والثناء عليهم ، وتنقاض عينه عن النظر  
إلى ما وراء الأستار من أهداف سياسية خبيثة ونوايا استعمار بغية.

قال الشيخ الندوبي في إحدى محاضراته أمام الطلبة في المعهد العالي  
للدعوة والفكر الإسلامي بجامعة ندوة العلماء مؤكداً على الاستشراق  
ونشأته وتطوره :

"إن القوى الغربية قد أصابت حيث أدركت أن مجرد الغلبة  
العسكرية ، والتفوق ، والتنظيم ، والاستقرار السياسي والأسلحة الحديثة  
الفتاكة ، والأساليب الحربية الدقيقة ، والاستراتيجيات العسكرية العلمية  
لا تكفي لاستبعاد شعبٍ وبلد ، وإيقاعهما في العبودية إلى مدة طويلة ، بل  
لتحقيق هذا الهدف "النبيل" لابد من إيجاد الشعور بمركب النقص في ذلك  
الشعب ، وإزالة الحمية الدينية والغيرة الملية من قلوب أهله حتى لا يستطيع  
أحد منهم أن يقوم أمام الطبقة الحاكمة مرفوع الرأس شامخاً الأ NSF ،

وتحقيقاً لهذا الغرض قامت حركة الاستشراق برعاية الحكومات الكبرى في العالم ، ولكن كثيراً من المسلمين يحسنون بها الظن ، ويعتقدون أن المستشرقين يشتغلون بالتحقيق والدراسة والتحقيق والتصنيف والتأليف خدمة للعلم ، ولمجرد إشاع غرائزهم العلمية ، وأذواقهم التحقيقية ، كلا ! بل تعمل وراء هذه النشاطات والأعمال أغراض استعمارية وسياسية ورعاية حكومية" (محاضرات إسلامية : ج ١ ، ص ٢٢١).

يقول الشيخ الندوى مؤكداً على الاستراتيجية الاستشرافية الدقيقة في كتابه : "الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين" : "ورغم هذا الاعتراف بفضلهم وعملهم لا يمنعني شيء في هذا المجلس العلمي المؤقر ، من أن أصرح بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية ، والحضارة والتاريخ الإسلامي ، وإبرازها لأجل غاية سياسية ، أو دينية".

(محاضرات إسلامية : ج ٢ ، ص ٣٨٨-٣٩٣)

ويقول في موضع آخر في الكتاب نفسه : "نرى كثيراً من المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعيهم على تعريف مواضع الضعف في تاريخ الإسلام ومجتمعه ومدنية ، حتى في دياناته وشرعيته ، وتمثيلها في صورة مضخمة مروعة ، إنهم ينظرون إليها عن طريق (المجهر Microacope) ويعرضونها كذلك للقراء حتى يروا الذرة جيلاً ، والنقطة بحراً ، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم في كثير من الكتابات في تشويه صورة الإسلام ، ويثيرون في قلوب قادة العالم الإسلامي اليوم وزعمائه - ممن تثقفوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرى ، أو درسوا الإسلام بلغات الغرب - شبهات حول الإسلام والمصادر الإسلامية ، ويحدثون في نفوسهم يأساً عن مستقبل الإسلام ، ومقتاً على حاضره ، وسوء ظن ب الماضي ، حتى يتركز نشاطهم وحماستهم في رفع هتاف "تطور الدين" و "إصلاح القانون الإسلامي" .

(محاضرات إسلامية : ج ٢ ، ص ٣٩٣).

يدرك الشيخ الندوى الاستراتيجية الدقيقة ؛ فيقول :

"ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعنون لهم غاية ، ويقررون في

أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق ، ثم يقومون لها بجمع معلومات - من كل رطب وبابس - ليس لها أي علاقة بالموضوع ، سواء من كتب الديانة والتاريخ ، أو الأدب والشعر ، أو الرواية والقصص ، أو المجون والفكاهة ، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها ، ويقدمونها بعد التمويه بكل جراءة ، ويبينون عليها نظرة لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم .

وانهم في غالب الأحيان يذكرون عيًّا واحداً ويجدون لتمكينه في النفوس ، بذكر عشرة معasan ليست لها أهمية كبيرة ، ذلك كي يقف القارئ خاسعاً مؤدياً أمام سعة قوافهم وسماحتهم ، ويسقط ذلك العيب الواحد الذي يكفي لطمسم جميع المحسن ، إنهم يصورون بيئه دعوه ، أو شخصية وتاريخهما وعواملهما الطبيعية ببلاقة وبلافة ، تصوران أن هذه الدعوه والشخصية لم تكون إلا نتاج هذه البيئة أو العوامل ورد فعلهما الطبيعي ، وكان البركان متهدئاً للانفجار ، فتناولته هذه الشخصية بشرارة فانفجر ، فينكر القارئ أي اتصال بمصدر غير مادي ، ولا يعترض لهذه الشخصية أو الدعوه بعظامه ، أو تأييد إلهي أو إرادة غيبية" . (محاضرات إسلامية : ج ٢، ص ٣٨٩)

يفسر الشيخ في موضع آخر أسلوبهم الملفقة الخادعة في عرض الحقائق ؛ فيقول :

"كان في أوروبا وأمريكا جنود مجندة من المستشرقين تتمتع بكل نوع من الرعاية والمعونة ، صبت جهودها على تأليف الكتب التي لا تهاجم الإسلام مباشرة ، فإنهم كانوا يعرفون جيداً أن الهجوم على الإسلام مباشرة يؤدي إلى استفزاز المسلمين ، وإحداث ردود فعل فيهم ضد ذلك ، فغيروا الأسلوب القديم بأسلوب جديد علمي أخطر منه ، يمتاز بأن القارئ لا يكاد يشعر بسهولة بما يدسه المؤلف ببطاراة ودهاء في كتابه من سموم وأكاذيب وأباطيل ، ومن معان معارضة للحقائق الثابتة ، وذلك في ظروف الدلائل البراقة ، والبراهين الخداعية ، يؤثر كل ذلك على قارئ وادع ساذج ، و يجعله ينساق إلى ما يشاء المؤلف أن يسوقه إليه ، وهو يشعر أن ذلك هو الحق ، وتتززع ثقته بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والفقه الإسلامي ، ويعتريه الشعور بمركب النقص نحو حضارته وثقافته وتاريخه ،

أن من يقرأ كتابات المستشرقين بيدأ يظن أنه كان على أدنى مستوى من العلم والمعرفة والثقافة حتى الآن ، وأنه لم يكن مطلاً على السقطات والنقائص المتوافرة في تراثنا الإسلامي .

(أوروبا أمريكا وإسرائيل ، من محاضرات إسلامية : ٢٢٢/١)

ويقول في موضع آخر : "وكثير من هؤلاء المستشرقين يدوسون في كتاباتهم مقدراً خاصاً من "السم" ويخترسون في ذلك ، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش القارئ ، ولا يشير ذلك فيه الحذر ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف ، إن كتابات هؤلاء أشد خطراً على القارئ من المؤلفين الذين يكاشفون العداء ، ويشجعون كتابتهم بالكذب والافتراء ، ويصعب على رجل متوسط عقليته أن يخرج منها ، أو ينتهي من قراءتها دون الخضوع لها" (محاضرات إسلامية : ج ٢/ ، ص ٣٩٠) .

ثم ذكر الشيخ الندوى ضعف العالم الإسلامي والعربي وفقر وسائلهما العلمية واستكانتهما في سبيل البحث والدراسة وأبدى الأسف الشديد على أن الباحثين المسلمين اليوم يعتمدون على مؤلفات المستشرقين في المواضيع الإسلامية الخالصة كأنها مصادر علمية ومراجع ثابتة ، ويعكرون على دراستها والاستدلال بها ، فإن كتاباتهم وأبحاثهم تخيل إليهم أنها مما ينفرد في موضوعه ، وتعد مصدراً علمياً موثقاً بها في جامعات الشرق في قسميها العربي والإسلامي ، وعليه اعتماد المؤلفين في قسم الدراسات الإسلامية في الجامعات .

تحول اهتمام الشيخ الندوى من ذكر الحالة المؤسفة للطبقة المثقفة في مجال التحقيق والإبداع إلى دعوة الاكتفاء الذاتي ، وسد تأثير المستشرقين السلبي واستعراض مؤلفاتهم العلمية ومحاسناتها في ضوء الحقيقة والواقع : فيقول : "ولسد تأثير المستشرقين السلبي وإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية ، ويقدموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية المؤكدة ، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة ، مع مراعاة الجوانب المحمودة التي يمتاز بها المستشرقون بل والزيادة فيها ، كما يجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من

## البعث الإسلامي

أبو الحسن علي الحسني الندوى وجهوه في الفكر والدعوة

حيث أصالة التحقيق ، وسعة الدراسة ، وعمق النظر ، وتأكيد المصادر وصحتها ، واستدلالها القوي ، بالنسبة لكتابات المستشرقين ومؤلفاتهم ، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الاتقان والصحة ، بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية .

ومما يجب أيضًا هو أن يقوم هؤلاء العلماء المفكرون باستعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ، ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الغطاء عن تبليساتهم ، وأخطائهم في فهم النصوص ، وبيان المعنى ، ويبدو للناس ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها ، وأخطاء النتائج التي يستبطونها منها ، ويطلعوا على ما يضمر كثير منهم في نفوسهم من عداء للإسلام ، وما يكنونه من أغراض سياسية ، ودينية ، في خفايا دعوتهم وتربيتهم ، وكل ذلك مؤامرة على الإسلام والأمة الإسلامية يجب إحباطها .

أما بدون الجمع بين هذا العمل الإيجابي الذي يقتضي تأليف كتب تحليلية ، وأبحاث عميقية حول المواضيع الإسلامية مع الإحالة إلى المصادر بضبط واتقان ، والفالهارس المفصلة المقيدة المتوعنة (وذلك كله مما يعتبر من خصائص المستشرقين) والإفادة من مواد لم تستخدم بعد ، وكتب ومظان لا يتبارد إليها الذهن ، وليس في صميم الموضوع ولا من التاريخ "الرسمي" الذي يدور حول البلاط ، والأسر الحاكمة ، والحروب ، والحوادث الجسيمة ، وكل ذلك مع تحرر للدقة والوجاهة والبعد عن التميمق والاستطراد ، وبين العمل العلمي ، وهي المحاسبة العلمية في أسلوب علمي نزيه ، وكلام وقول رذين ولفظ موزون بعيد عن التهكم والتكيت ، والتجني والافتراض ، فإن كل ذلك يفقد النقد قيمته العلمية ، ووقفه النافي ، ويدون الجمع بين هذا وذلك لا تتحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من تأثير أفكار المستشرقين المسمومة وسيطرتهم العلمية ، تلك الطبقة التي تعد من أذكى الطبقات في العالم الإسلامي ، وأكثراها طموحاً ، والتي تدرس في جامعات أوروبا ، وأمريكا الكبرى ، أو في جامعات بلادها ، وتحب دراسة الإسلام بلغات الغرب التي تتقنها .

(الإسلام والمستشرقون: ج ٢، ص ٩١-٩٢)

# **مسيرة اللغة العربية في عصر العولمة وأشكالياتها وتعدياتها وإنجازاتها**

بتقديم الدكتور محمد أجمل القاسمي

اللغة أساس وحدة الأمة، ومستودع حضارتها، ومرآة فكرها، فهي نشاط الفكر وصداه الذي يتعدد في آفاق المجتمع ورحايا النفس، وهي القدر المشترك من الحياة والنفسية بين أبناء الأمة الواحدة، في إطارها يتم تفاعل الأفكار، وفي نظام (مزها) يتم التعبير عن التنظيم الكامل لحياة الحضارات وأنماط أفكارها (١) واللغة ذات صلة وطيدة بالمجتمع الذي تمارس فيه أدوارها ووظائفها. تزدهر بازدهارها، وتتغير بتغيير مناخها، وتتأثر بحياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتؤثر في سلوك أبنائه وطرائق تفكيره.

أما العولمة فتشاهد منافع كثيرة لها في هذه الأيام وهذه الظاهرة التي تربط العالم اليوم ذهب الدراسون والباحثون في تفسيرها والحديث عن آثارها كثيراً (٢)، ولا شك أن اللغة عنصر من عناصر الذات ومكون من مكونات الشخصية، ولكل أمة من الأمم لغة تتميز بها بين الأمم الأخرى، وفي ظل العولمة الباسطة نفوذها اليوم على المجتمع الدولي كيف يمكن التوفيق بين الخصوصيات الروحية واللغوية والثقافية والحضارية وبين متطلبات العولمة (٣).

فالعولمة تسير نحو التأثير السلبي في الهوية والسيادة معاً، والهيمنة الثقافية هدف مقصود لظاهرة العولمة، وإن اللغة وثقافة لكل أمة هي التي تحدد ملامح هويتها وتراثها (٤) وتعد اللغة من أهم الملامح التي تكون هوية الأمة وتميزها عن غيرها، فاللغة هي الفنون لأي ثقافة أو حضارة،

واللغة العربية اليوم تواجه تحدياً قوياً في عصر العولمة، فالعولمة كما نراها اليوم تسير نحو التأثير السلبي في الهوية والسيادة وتدنيتها وطمس معالمها وابعد الناس عن اللغة العربية ليزدهر التغريب وتحقيق التبعية.

ولكن اللغة العربية أمانة في عواتق الناطقين بها، والحفاظ عليها مسؤولية مشتركة بين جميع فئات الأمة، وهي التراث والهوية التي تعتبر مصدرين يقومان بالامتياز عن الآخرين، ومبث فخر و مصدر اعزاز لأبنائهما، فالاحفاظ على ذلك ضرورة حياة، فالامة العربية والإسلامية تملك ثقافة عربية إسلامية و رسالة حضارية خالدة، وهي اليوم تواجه حرباً شرسة تستهدف لغتها وتاريخها وتراثها وهويتها، والتاريخ العربي الإسلامي ثروة إنسانية حضارية أغنت المعرفة الإنسانية عبر العصور.(٥).

فالعالم العربي على وجه الخصوص و ناطقو اللغة بوجه عام يشاهدون اليوم التحدي السافر للغة العربية في المجتمع بفعل العولمة الذي يمس الوضع السياسي للغة العربية، فيجب على هذين العنصرين على أن تأخذ اللغة العربية مكانها وقوتها والشعور بقدرتها على استيعاب الم杰وزات الحضارية، ولتكن نظرتهما إلى المستقبل في عصر العولمة أكثر ثقة، وأن تبقى اللغة العربية حية ومنتجة وفاعلة وصادمة أمام قوى العولمة المختلفة وقدرة على استيعاب المجزرات الحضارية وفاعلة في المجتمع و مقبولة في المجالات المختلفة من صناعة وتجارة وسائل إنتاج وصياغة المواد العلمية والإعلامية وغيرها.(٦).

واللغة العربية تمتاز عن سائر اللغات بمكانة فريدة ومنزلة سامية، فهي لغة القرآن الكريم و لسان النبوة، ثم هي "بعد ذلك" لغة فكر إسلامي تضيئ المعمورة بنوره، و لغة حضارة عربية تواردت على حياضها أمم كثيرة ناهلة من علومها سنين عديدة، و يوصف عصرنا العالمي بأنه عصر التطور العلمي، والإبداع التقني، و تكنولوجيا المعلومات المتقدمة والافتتاح بين الأمم و الثقافات المختلفة.(٧) و كبرى الصعوبات التي تواجهها اللغة

العربية في هذا العصر هي تباطؤ أبنائها في النهوض بها، كي تستطيع تمهيد الطريق أمامهم للمشاركة الفاعلة في مسيرة الحضارة العالمية، (٨) و تتصل بهذه المشكلة بعض القضايا اللغوية التي ما زالت مناط اهتمام العلماء والباحثين، وهي :

**ازدواجية الفصحيّة والعاميّة :**

الفكر العربي المعاصر يعني من ظاهرة "ازدواجية اللغة" أي وجود لفتين: لغة فصيحة؛ وهي لغة الكتابة في معاهد التعليم والمدارس، والخطب والمحاضرات، وفي الكتب والصحف والمجلات، ولغة عامية، وهي لغة التخاطب التي يتعامل بها الناس في حياتهم اليومية، وظهرت في العصر الحديث دعوة تدعوا إلى العامية، وترى فيها اللغة المسيرة لتنقيف الناس عامة، و المفتاح السحري لتقديم الأمة العربية في المجال العلمي، (٩) وهي دعوة هدامة خطيرة يتربّط عليها أضرار دينية وقومية واجتماعية، منها :

= هجر لغة القرآن و لغة إعجازه .

= تمزيق الوحدة اللغوية و الوجدانية بين أفراد الأمة العربية .

= الانقطاع عن تراث الحضارة العربية و الإسلامية .

= القطيعة بين أبناء مجتمعات القطر العربي الواحد .

ويرى بعض الباحثين أن ازدواجية اللغة ظاهرة طبيعية في اللغة العربية، وغيرها من اللغات الإنسانية، ويدعون إلى تقصير المسافة بين الفصيحة و العامية، لأن تسمو العامية إلى مستوى الفصيحة، و يرون أن تحقيق هذه الدعوة يسير، لأن العامية انبثقت من الفصيحة، و لكنه يتطلب تطوير حركة التعليم و زيادة الوعي اللغوي، فكلما ازدهر التعليم و زاد الوعي اللغوي سمت العامية، و اقتربت من الفصيحة، و انقادت لها. (١٠).

**تعريب التعليم الجامعي :**

لعل أبرز قضية تواجهها اللغة العربية في عصر العولمة ما اصطلاح على تسميته تعريب التعليم الجامعي، أي اعتماد اللغة العربية لغة رئيسية في تعليم

التخصصات الإنسانية والعلمية والتطبيقية. وقد حظيت هذه القضية في العقود القليلة الماضية باهتمام متزايد على الصعيد الرسمي، فخصص لمناقشتها مؤتمرات وندوات عديدة، شارك فيها أعداد جمة من أعضاء مجتمع اللغة العربية، وأساتذة الجامعات في الوطن العربي وخارجه، وقد أجمع المشاركون على أن تعریب التعليم الجامعي مقصود قومي وحضاري، لأن اللغة العربية تمتاز بخصائص تؤهلها لتعريب العلوم الحديثة وتعريب مصطلحاتها، وقد خاضت العربية تجربة تعریب في عصورها المزدهرة وأظهرت مهارة فائقة في تعریب علوم الحضارات القديمة كاليونانية والفارسية والهندية، وفي الفلسفة والمنطق والحساب والطب.(11).

أن تعریب التعليم الجامعي في عصر العولمة مهمة قومية عاجلة، لسبعين بارزين: الأول: لأنها تثبت الهوية العربية، و الثاني؛ ترسخ الوجودان الثقلاني، و تدعم مسيرة الفكر و تغذيتها من خلال التواصل و العطاء المتبادل بين أبناء الوطن العربي .

فلم إذا لا تتيح الجامعات العربية فرصة التجربة؟ ولم يخشى أبناء اللغة العربية وأصحابها تجربة التجربة؟ فاللغة العربية التي وسعت كتاب الله لن تضيق عن استيعاب العلوم المعاصرة و مواكبة التقدم العلمي. (12).

#### تعريب المصطلحات العلمية:

تمكنت اللغة العربية "مما توافر لديها من مرونة و طواعية" أن تساعد اللغويين والباحثين على تعريب المصطلحات العلمية، إذ قام الخبراء بالتجربة في هذا المجال الآلاف من المصطلحات، و وضعوا لتعريفها قواعد تسعف الدارسين و تسهل مهامهم في المستقبل (13) وكان لجامع اللغة العربية في الوطن العربي جهود متميزة في تأليف معاجم متخصصة بالمصطلحات العلمية في العلوم الطبية والهندسية والتطبيقية، و علوم البيئة و المحيط الجوي والاتصالات، وغيرها من العلوم/ مما يدل دلالة واضحة على رغبة هذه المؤسسات اللغوية في اللحاق بركب الحضارة العالمي،

وتصنيفها على مسيرة التطور العلمي في عصرنا الحاضر و ما يقال في هذا العصر المعاصر: العولمة (١٤).

و لا ينكر باحث فضل أعضاء مجتمع اللغة العربية في التعريب، إلا أنهم تبادلوا في صياغة مصطلح واحد للمفهوم العلمي، نتيجة اختلاف البيئات الثقافية التي يعملون فيها، واستشعر بعضهم خطورة هذا التباين على مستقبل تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي فشرعوا يدعون إلى توحيد المصطلحات العلمية وإلى التنسيق بين جهود مجتمع اللغة العربية، و ذلك بتفعيل الدور الذي يقوم به مكتب تنسيق التعريب في بعض البلاد العربية، واقتراح آخرون تأسيس (بنك) مركزي للمصطلحات العلمية، على غرار ما هو معمول به في العالم المتحضر، و مهمة هذا البنك خزن المصطلحات مصحوبة بتعريف دقيق لها، مما يتتيح الفرصة أمام الباحثين و المترجمين والمحاضرين في الجامعات للاطلاع عليها و الإفادة منها (١٥).

#### الترجمة والتأليف:

اللغة العربية كالشجرة الطيبة تحتاج إلى سقاية و رعاية، كي تنمو وتؤتي أكلاً يانعاً، و سقاية اللغة تكون بالترجمة و التأليف و نشر الكتب و كتابة المقالات و تقديم الأوراق في الدورات التدريبية و الحلقات الدراسية و المؤتمرات و الندوات ذات الصلة، و اللغة العربية لغة دولية ذات قيمة حضارية، إلا أنها تواجه أزمة ثقافية، تبدو واضحة في افتقار المكتبة العربية إلى الكتب العلمية الحديثة المؤلفة بها، أو المترجمة إليها، وفي ترجمة النتاج العربي إلى اللغات الأجنبية، (١٦) كي يطلع أبناء هذه اللغات على إنجازات العرب في المجالات العديدة لحضارتهم و ثقافتهم.

ولا شك أن النجاح في تشجيع حركة الترجمة إلى العربية، سيؤثر إيجابياً في مسيرة اللغة العربية، (١٧) لأن الترجمة تزدهرها غنى و ثراء، فتنتسع آفاقها بما يضاف إلى مذكور تراوتها من علوم و مصادر جديدة، و تصبح أقدر على تأدية رسالتها، و الوفاء بمتطلبات العصر الحديث الذي يتسم بالافتتاح

المعرفي و الفكري، و حرصا على حاضر اللغة العربية و مستقبلها أنشأت المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم (إيسسكو) المركز العربي للتأليف و الترجمة و النشر في تونس، ليقوم بمتابعة كل ما هو يحدث في عالم المعرفة و العلوم الإنسانية في أرجاء العالم، و تشجيع حركة الترجمة، لتحقيق التواصل بين الأمة العربية و سائر الأمم التي تتناهض في صعود معارج الرقي و التقدم. (١٨).

والأخذ بعين الاعتبار، يتزايد اهتمام بعض الدول الآسيوية كاليابان والصين وكوريا و إندونيسيا، والأوروبية مثل فرنسا و إسبانيا و روسيا و إيطاليا و برتغالية وغيرها من البلدان بنشر لغاتها و ثقافاتها الوطنية في أرجاء العالم، وترصد ميزانيات ضخمة لتمويل المراكز والمؤسسات التي تنهض بهذه المهمة، وتحظى برامج ذات مستويات متدرجة لتعليم لغاتها لغير الناطقين بها. مع العلم و بالأسف أن البلاد العربية لن تعني بها و طبعا ليس حكوماتها والدوائر الرسمية العربية مباشرة، فأما السفارات والقنصليات، والمفوضيات السامية لها أو البعثات الدبلوماسية المعتمدة لدى الدول المختصة يمكن لها أن تلعب دورا فعالا بتقديم مساعداتها العلمية بتزويد الكتب والمجلات و المواد الدراسية الأخرى وتعاونها المالي عن طريق الاشتراك والمساهمة في الندوات والمؤتمرات والمنتديات ، وكذلك بتمويل المعاهد والمؤسسات بهدف ترويج لغتها وثقافتها في الدول الأجنبية، الهند مثلا فهي لا تهتم بعنابة ترويج لغتها و لا ترغب في نشر ثقافتها، و ذلك بالنسبة للتجربة الهندية حيث أكثر الجامعات كانت تشغل برعاية الحكومة المركزية أو تديرها الولايات المحلية الهندية تقوم بتعليم اللغة العربية وآدابها و ثقافتها .

وقد سبق للغة العربية أن نهجت في فترات ازدهارها هذا المنهج، فقد أقبل عليها أبناء الأمم الأخرى من كل حدب و صوب يتدارسونها، و يؤلفون بها، وحظي هذا المنهج حديثاً باهتمام من الجهات المعنية في العالمين العربي والإسلامي، وأشارت عليه بشكل رسمي كل من المنظمتين العربية

والإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (١٩) وعلى الرغم من أهمية الجهود التي قامت بها هاتان المنظمتان، فإن ثمة مشكلات ما زالت تعترض سبيلهما، منها: ندرة التسقیف مع الجهات المعنية في البلدان العربية، ونقص البرامج والمأود التعليمية التي تهتم بهذا المجال في الجامعات العربية، وقلة عدد المختصين فيه، إضافة إلى أن هذه الجهود تتدرج - على الأغلب - في إطار المبادرة القطرية، إذ لم يخطط لها على المستوى القومي الشامل كما تقوم بياجرائه الدول المتقدمة.

إن الرؤية المستقبلية لتطبيق تعليم العربية لغير الناطقين بها، يتطلب من الجهات العربية المعنية أن تصمم برنامجاً قومياً شاملـاً، يحقق أهدافاً واضحة، ويعتمد تحطيطاً منهجياً سليماً، يراعي فيه مستويات المتعلمين وبيئات الفئات المستهدفة.

#### اللغة العربية والإعلام :

ما زال الإعلام واحداً من العوامل المهمة التي ترکز عليها الأمم في إظهار الوجه المشرق لتراثها، وابراز إنجازاتها وما ينتظره من مستقبل واعد. وللإعلام - في العصر الحديث - وزارات وخبراء ومستشارون ، وكليات جامعية متخصصة تعلمه، ومؤسسات إعلامية تحضنه. (٢٠).

ولللغة أهمية عظيمة في نجاح الإعلام، وتوصيل رسالته، وتحقيق أهدافه ، وأهم السمات التي تتصف بها اللغة الإعلامية الواقعية ، والموضوعية، والبساطة، والإيجاز، والمرونة، والتنفيذ المباشر، والقدرة على الإمتاع وجميع هذه السمات متوافرة في اللغة العربية. بل تمتاز عن غيرها من اللغات بقدرة أفعالها وسائر ألفاظها على التعبير عن مدلولات الزمن. وتخصيص مصطلح لكل وقت أو فترة زمنية من فترات النهار والليل، مثل: الفجر، والشروق ، والضحى ، والغدوة ، والليلة ، والعصر، والأصليل ، والمغرب ، والعشاء ، والزیغ الأول ، والزیغ الثاني ، والسحر، ولا شك أن هذا التفصیل الدقيق لمدلولات الزمن من أهم سمات اللغة

وإسهامات الإعلام العربي في تعميم اللغة العربية، و إيجاد لغة إعلامية تشكل قاسماً مشتركاً للأداب و الفنون و العلوم، و مناشط الحياة الأخرى، و في تقصير المسافة بين الفصيحة و العامية، و الرؤية المستقبلية للغة الإعلامية أن تزود بمعجم معاصر، يشمل جميع ثروتها اللغوية، و كل ما استوعبته الموسوعات اللغوية الحديثة من مفاهيم، و كل ما تضمنته الكتب العلمية من دلالات اصطلاحية للتعبير الإعلامي. (٢٣).

#### **اللغة العربية و التكنولوجيا المعاصرة :**

شهد النصف الثاني من القرن العشرين ثورة تقنية المعلومات، أحدثت تطوراً سريعاً في معظم مجالات الحياة. (٢٤) و كان للاتصال اللغوي نصيب وافر في الإفادة منها، و خاصة آلة الحاسوب، و حين وفدت هذه الآلة إلى الوطن العربي، فكر الخبراء في علم الحاسوب، و الغيورون على اللغة العربية في ترويضها و تطبيعها لتصبح لغة رسمية في استعمالها، فأقدموا على وضع خطة علمية تهدف إلى توحيد المصطلحات العربية التقنية، و توحيد استعمال النظم الحاسوبية، ثم إدخال اللغة العربية، و في كثير من مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية ، وخاصة تلك التي تعتمد في دراساتها اللغوية والأدبية والثقافية على برامج حاسوبية من تصميمها (٢٥).

وينبغي أن تستمر جهود المفكرين و الخبراء و التقنيين، و أن تتكامل مع خطط التنمية التي تصوغها مؤسسات التخطيط القطرية والقومية ، كي يتسنى لهذه الجهود أن تتحقق أهدافها في النهوض الحضاري و في تحرير التقنية العربية من التبعية للأخر.

#### **الخلاصة :**

إن اللغة العربية هي الأساس الروحي و الفكري الذي شاد عليه نهضة الأمة العربية و وحدتها، و هي لغة حية قوية ذات قدرة هائلة على استيعاب ما يجد من معطيات الحضارة الحديثة و إنجازاتها .

ولأن اللغة العربية لا تتحمل مسؤولية تباطؤ الأمة العربية في اللحاق بركب التطور العلمي المعاصر، بل أبناء الأمة و الناطقون بها هم المسؤولون عن ذلك.

ومعالجة القضايا التي تعوق مسيرة اللغة تقع على عاتق الأمة العربية، فيجب على العاملين المخلصين من أصحابها أن ينهجوا سياسة لغوية واضحة الهدف، تسهم في تفريذها المؤسسات اللغوية والتعليمية والإعلامية، وفق تخطيط علمي شامل، وبرمجة دقيقة لتنظيم جهود هذه المؤسسة على المستويين القطري والقومي، ولضمان نجاح هذه الجهود يجب على الجهات الرسمية والمؤسسات الأهلية في الوطن العربي أن تتخذ القرارات السياسية الجريئة، كي تتلخص الدراسات اللغوية من دائرة التنظير والمحاكمة، إلى حيز التطبيق والممارسة.

فاللغة تقوى بقوة أهلها و مجتمعها و يجب أن تكون لها السيادة في جميع الواقع من خلال نشر الوعي بأهمية اللغة و تفعيل دورها. (٢٦).



#### المراجع:

- (١) عبد العزيز محمد حسن: في تطور اللغة العربية: "بحوث مجتمعية في الأصول والألفاظ والأساليب" مكتبة الآداب، الكويت، ٢٠٠٧م.
- (٢) أبو العلاء، محمد حسين، "ديكتاتورية العولمة" الموقع الإلكتروني، كتب عربية دوت كوم، ٢٠٠٥م.
- (٣) حسن، عبد الحميد، "الألفاظ اللغوية و خصائصها وأنواعها" ط. معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية، بيروت، ١٩٧١م.
- (٤) نهر، هادي: "اللغة العربية و تحديات العولمة" ط. عالم الكتب الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م.
- (٥) تركي، صقر: "الإعلام العربي و تحديات العولمة" ، ط. منشورات وزارة الثقافة المصرية ، سنة ١٩٩٨م.
- (٦) السحمراني، أسعد: "ويلات العولمة على الدين و اللغة و الثقافة" دار النافذ للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ٢٠٠٢م.
- (٧) جكلي، زينب بيره: "أثر العولمة على اللغة العربية" مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني، رابطة أدباء الشام.

- (٨) الضبيب، أحمد بن محمد: "اللغة العربية في عصر العولمة" مكتبة العبيكان. ٢٠٠٨م.
- (٩) إيمان وريمان و علي درويش: "بين العامية و الفصحى مسألة الأزدواجية في اللغة العربية في زمن العولمة والإعلام الفضائي" ط. شركة رايتسكوب المحدودة، ملبورن، أستراليا. ٢٠٠٨م.
- (١٠) الحقيل، عبد الله بن حمد: "اللغة العربية عملية النهوض بها" مقالة نشرتها جريدة الجزيرة السعودية في عددها الصادر ١٤٩٥ في ديسمبر ٢٠١٢م.
- (١١) الودغيري، عبدالعلي: مقالة له بعنوان "وضع اللغة العربية في عصر العولمة و تحدياتها" نشرها مجمع اللغة العربية الأردني، سنة ٢٠١١م: ص ٩.
- (١٢) النذوادي، محمود: "الثقافة و اللغة في عصر العولمة" أعمال الندوة، عقدها جامعة، ١٤٣٥/٦/٢٥م.
- (١٣) الضبيب، أحمد بن محمد: مقالة له بعنوان "اللغة العربية في عصر العولمة" نشرتها جريدة الجزيرة السعودية في عددها الصادر ١٤٧٩ في سبتمبر ٢٠٠٠م.
- (١٤) جباري، عبد الحفيظ: "تعريف المصطلحات العلمية: الأسماء كثيرة و المقصود واحد" مقالة منشورة في الموقع الإلكتروني بالفلك العربي .
- (١٥) شاكر، أحمد جميل: "دراسات جادة حول مستقبل التعليم العالي في الأردن" مقالة نشرتها جريدة الدستور الأردنية في عددها الصادر ٤ شباط. ٢٠١٣م.
- (١٦) الصرايره، محمد: "اللغة العربية و الترجمة الآلية" ط. قسم اللغة العربية، جامعة يرموك، ٢٠٠١.
- (١٧) بسام بركة: مقال له نشر المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات بعنوان "الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة و بناء المروءة" أكتوبر ٢٠١٢م: ص ١١.
- (١٨) نشرة إخبارية صادرة عن منظمة الألسنko القائمة بتونس في عددها الصادر في شهر سبتمبر ٢٠١١: ص ٦.
- (١٩) الفوزان، محمد بن إبراهيم: "اللغة العربية و العولمة" معهد اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، سنة ٢٠٠٥م.
- (٢٠) قميحة: جابر، هاشم، "أثر وسائل الإعلام في اللغة العربية" مقالة منشورة في موقع الكتروني "رابطة أدباء الشام" في سنة ٢٠١٢م.
- (٢١) عواطف، عبد الرحمن: "الإعلام العربي و قضايا العولمة" ، ط. دار الجليل، بيروت ، ٢٠٠٥م.
- (٢٢) الردادي، عائض: "لغة الإعلام في اليوم العالمي للغة العربية" مقالة نشرتها جريدة المدينة تصدر عن مؤسسة المدينة بالململكة السعودية العربية في ٢٢/١٢/٢٠١٣م.
- (٢٣) رشاد، محمد سالم: "اللغة العربية و الإعلام" ط. دار المinar للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة ٢٠٠٣م: ص ٤٤.
- (٢٤) ابن عمر، محمد صالح: "العربية و ثورة المناهج الحديثة" ، ط. دار الرياح الأربع، بيروت ، سنة ١٩٨٦م: ص ٤.
- (٢٥) حناش، محمد: "استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات" ط. مجلة التواصل اللسانى، الكويت ١٩٩٣م: ص ٦.
- (٢٦) الحقيل، عبد الله بن حمد: "أهمية الحفاظ على اللغة العربية في عصر العولمة" مقالة نشرته جريدة الجزيرة القطرية، العدد رقم ١٤٦٦٦، نوفمبر ٢٠١٢م.

## الثورة تتمضض عن الثورة

محمد واضح رشيد الحسني التدويني

إن الإسلام دين طاعة لأولي الأمر ، فقد ورد في القرآن الكريم : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ◆ وَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ◆ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ◆ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ◆ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّمُ الْآخِرِ ◆ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ ثَوْبًا" [النساء / ١٥٩] ، وجاء في الحديث النبوي الشريف : "اسمعوا وأطِيعُوا وَإِنْ اسْتَعْمَلْ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبْشِيٌّ كَأَنْ رَأْسَهُ زَبِيبَةً" لرواه البخاري .

والإسلام دين الوحدة والتضامن ، وهو دين اجتماعي ، فيه حرية الفرد ، ولكن هذه الحرية مقيدة بمبادئ ، ولها ضوابط ، وقد قال سيدنا أبو بكر الصديق عليه السلام : "اطبعوني فيما أطعت الله فيكم" وعلى هذا الأساس قامت الوحدة الإسلامية :

وقد تولى في التاريخ حكام دام حكمهم مدة طويلة ؛ من الخلافة الأموية إلى الخلافة العثمانية ، فكانت المهمة الأولى لهذه النظم الحاكمة وقاية الدولة الإسلامية من الفارات الخارجية ، وبفضل هذه السياسة الحكيمية بقيت الدول المفتوحة في ظل الإسلام من القرن الأول إلى العصر الأخير كمصر والشام والمغرب وببلاد الفرس ، وإذا حدثت فتنة قام هؤلاء الحكام بإحباطها .

وبهذه السياسة دام الحكم الإسلامي وبقي في أيدي المسلمين أكثر من ألف سنة ، وإذا خرجت منطقة من المناطق الإسلامية من أيدي المسلمين ، خرجت لخيانته القادة ، أو التشاجر والتحارب في صفوف الحكام ، أو تهاون الحكام في إقرار الأمن والسلامة ، والذود عن حوزة الدولة ، وفرض حكمهم ، والعدل والإنصاف مع الرعية .

لقد كانت الخلافة العثمانية آخر نظام حكم إسلامي ، يجمع بين قوميات وأوطان للمسلمين من العرب والعجم ، وكانت لها صولة وجولة وهيبة على النفوس ، وقد واجهت هذه الدولة مؤامرات ودسائس من الدول الغربية الناهضة ، لكن نفرة القومية والوطنية شلت شمل هذه الدولة التي كانت آخر رمز للوحدة

الإسلامية ، والتضامن الإسلامي ، وتفكرت هذه القوة العالمية بالثورات التي قامت في أراضيها .

ولكن التاريخ يشهد أن هذه الثورات لم تكون إلا لقلب نظام وإقامة نظام بديل ، وإنما أدت إلى حدوث ثورات تلت ثورات ، ولم تستقر الأمور ، وقد دعمت اللجوء إلى وسائل قلب نظام الحكم بالثورة ، الثورة الاشتراكية التي اكتسحت أوروبا الشرقية ، ثم الصين ، والهند الصينية ، وفرض على إثر هذه الثورات نظام استبدادي للحكم ، فرضت فيه القيود على حرية العقيدة ، وحرية الفكر ، والعمل ، والعلم ، والثقافة ، وأممت الملكيات الفردية ، وقام فيه نظام يشبه نظاماً فردياً رغم دعوى الديمقراطية ، وفرض الحظر على العقيدة الدينية ، ولكن لم يفرض الحظر على الإلحاد ومخالفة القيم الأخلاقية والدينية المتوارثة .

وتأثير العالم الإسلامي بهذه الثورة ، فقامت فيه ثورات تولى العسكريون فيها الحكم بقلب نظام الحكم المدني ، وأدت هذه الثورات إلى خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات ، وتسلط على البلدان التي قامت فيها هذه الثورات ، وتسيطر عليها الحكام الذين اختاروا طريق الانتخابات المزورة لتبريربقاء حكمهم ، وامتد حكمهم ثلاثين أو أربعين سنة ، ومردوا على حكمهم ، وفي بعض البلدان تزاحمت الثورات ؛ كان منها أفغانستان بعد ثورة داؤد خان ، ثم سوريا والعراق والسودان والصومال التي تعاقبت فيها الثورات ، وكل ثورة ألحقت بالبلاد كلها خسائر ، وقد شهدت مصر وسوريا وببلاد أخرى سلسلة من الثورات .

لقد كان المسلمين أمة واحدة تحت نظام حاكم ، وهم اليوم أمة انقسموا إلى دويلات وإمارات ، وحكام ليس بيتهם روح التعااضد والتراحم ، ويظهر ذلك المنظر منظر الخلافات في مؤتمرات القمة ، ويشهد العالم العربي الصراع ، وبهذا التفرق والتشتزم خرجت هيبة المسلمين من النفوس ، وتأثرت بذلك الأقليات الإسلامية في بلدان الأغلبية غير الإسلامية ، وتأثر بها زعماء العالم ، فغيروا مواقفهم من العالم الإسلامي الذي كان له في السابق وزن وبحسب له حساب ، وخاصة الشرق الأوسط الذي أغنله الله بالثورات .

إن المنظر اليوم في العالم العربي فضلاً عن العالم الإسلامي المتشتت في إمارات مختلفة ، هو منظر التجارب والقتال بين صفوف المسلمين ، ليس بين الحكام ورعيتهم ؛ بل بين مختلف الفئات والطوائف للمسلمين ، ليس بين السنة

والشيعة ؟ بل بين طوائف مختلفة للشيعة والسنّة ، وبين المعسكرات والجماعيات ، حتى رجال الدين والحركات الدينية ، لا يستثنون من هذه النزاعات ، وكل فريق يلجأ إلى القوة ، ويستخدم وسائل العنف ، ويتوفر لهم الزعماء المترصّدون بهم الدوائر ، الأسلحة والمعونات لنشر هذا الانقسام .

وقد كانت الحرب في السابق بين دولة ودولة ، كما حدث بين العراق وإيران ، وبين العراق والكويت ، والآن تجري هذه الحرب الطاحنة بين أفراد الشعب الواحد ، والبلد الواحد ، وبذلك يتضاعف عدد اللاجئين ، ويرتفع عدد القتلى بالإضافة إلى ما يكلّف استخدام الحكم لوسائل القمع والكبت والاعتقال والإعدام .

وتجري اليوم انتخابات الرئاسة في مصر وسوريا ، والأغلبية من الناخبين في هذه البلدان محرومة من الاشتراك في الانتخابات ، أو مضطرة إلى مقاطعة الانتخابات ، ولا يزال الوضع في اليمن ولibia والجزائر متازماً ، ولا يحل هذا الوضع إلا نظام حكم يرضي الجماهير من الشعب .

في مثل هذا الوضع المهيمن ينشأ في الذهن سؤال أليس في العالم الإسلامي المتحارب المتخن بالجروح ، رجل يرشد إلى طريق النجاة من هذه البلبة ، وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا الطريق بقوله : " وَإِنْ طَائِفَاتٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَاصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَقَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخْرَى فَقَاتِلُوهَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوهَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً فَاصْلِحُوهَا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " [الحجرات: ١١٠-٩] ، فالإصلاح هو الطريق الأرشد : " إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تُؤْفِقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَإِنَّ قَوْمًا لَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَيْقَاقٍ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِّثْلًا مَا أَصَابَ قَوْمًا تُوحِّي أَوْ قَوْمًا صَالِحًا وَمَا قَوْمٌ لُوطٌ مِّنْكُمْ بِيَعْيِرُ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّيْ رَحِيمٌ وَّدُودٌ لِّهُودٍ ١٩٠٨٨ ، " والصلاح خير " [النساء: ١٢٨] .

فيجب على القادة والساسة في مثل هذا الوضع معالجة طريق الإصلاح ، وتخفيف حدة التوتر ، واتخاذ وسائل لمنع سفك الدماء ، وإخماد الفتنة ، وذلك هو الطريق الإسلامي لحل المشاكل .



## رحلات محمد بن ناصر العبودي الهندية

### تشميم ألوبي وتحليل نكري

يعلم : الأخ عطاء الرحمن الأعظمي التندوي  
الباحث بقسم اللغة العربية وأدبها ، الجامعة الماليية الإسلامية - نيودلهي

أدب الرحلة بمفهومه في رأيي، هو فن التعبير عن مشاعر تخلج في نفس الأديب المفترض تجاه كل ما يراه ويعاشه ويقرؤه عن ملامح بلد أجنبي بعاداته، وتقاليده، وخلفيته السياسية والثقافية والإجتماعية وأحداث يعايشها الأديب ومواقف تأثر بها، وهموم عانى منها في ذلك البلد الأجنبي طالت أم قصرت مدة إقامته فيها، والتعبير عن كل ذلك بأسلوب أدبي شائق يفرج القارئ، بمواصلة القراءة من أول آخر سطر، دون ملل أو كسل.

ورغم أن لأدب الرحلات سمات وخصائص تميزه كما سبق أن ذكرت، إلا أن أهم ميزة من وجهة نظري هي الحرية، حرية الأديب في أن يكتب كيفما شاء، يضحكنا تارة ويبكيانا تارة أخرى، وقد نشعر أحياناً أننا بصدد قصة قصيرة، وقد نقرأ شعراً، أو نشعر وكأننا طرف في نقاش أو موجودون مع الأديب في نفس الأحداث، تفاعل معه فيها إذ أن أدب الرحلات يمهد للتلاقي مع الشعوب.

مدى نجاح الأديب في كتابته في أدب الرحلة بصفة خاصة يتوقف في نظري على كم التعامل الوجداني الذي يخلقه في قلب وضمير القارئ، فكلما تأثر القارئ أكثر واندمج في أحداث القصة، كان ذلك برهاناً على قدرة الكاتب وتميزه في كتابته.

لم تظهر الكتابة عن الرحلة إلا بعد الهجرة النبوية والفتحات الإسلامية وازدهار الحضارة العربية وتقاومتها.

عرف الإنسان الرحلة أو الترحال والتتنقل بفطرته التي جبل عليها منذ بدء الخليقة، منذ هبط آدم وحواء إلى الأرض ليعبدوا الله وليعمروا بأولادهما الأرض، وينتشروا فيها بسعفهم وراء مصادر الماء، التي بدورها ستتوفر لهم إمكانية الزراعة والشرب وتتوفر مصادر الرزق لهم ولحيواناتهم.

وكثيراً ما كانت الطبيعة تورقه، وتشغل باله فيقضى ساعات طويلة يتأمل فيها، وكثيراً ما كانت تقايده برياح عاتية أو رعد وبرق أو ما هو أفالع كارثة طبيعية تجعله يفر، يلتم أغراضه ويرحل لمكان آخر يلتمس فيه بعض الأمان وبعض العزاء مما يكون قد فقده بسبب هذه الطبيعة الغامضة التي يبيت يفكّر في أسرارها لعله يأمن بعض أشرارها.

ومن هنا نأتي إلى ذكر المقوله الشهيرة بأن في السفر تسع فوائد: منها الرزق، وتحصيل العلم، واكتساب الخبرات، والترفية، ورؤية بلاد جديدة، واكتساب مزيد من العزة عند الأهل، والاستشفاء في حالة المرض، لا قدر الله.

لم تظهر الكتابة عن الرحلة إلا فيما فيما بعد الجرة النبوية، والفتوات الإسلامية، وازدهار الحضارة العربية وثقافتها، فظهرت كتابات عن رحلات قام بها رحالة عرب، حيث ظهر أدب الرحلات ليشكل أحد أهم تجليات الثقافة في ذلك العصر، ولি�جوب بعض الرجال العرب بلاداً عربية تجاور بلادهم بل وصل بعضهم إلى بلاد غير عربية وبعيدة كالصين والهند وببلاد ما وراء النهر وتركيا وغيرها.

وقد أدى الرحالة العرب مهمة سامية للأجيال القادمة، إذ أسهمت كتاباتهم لأدب الرحلات في نقل كثير من الصور الجميلة والمشاهد المميزة لتلك البلاد وطبيعتها الجغرافية، وظروفها المعيشية وألقوا الضوء على تاريخ هذه البلاد وأفكار سكانها وعادات وتقالييد قد تختلف وقد تتفق مع عادات البلاد التي جاء منها هؤلاء الرحالة، فأسهموا بذلك في نقل بعض ثقافات الشعوب الأخرى، وإثارة الاهتمام بها وتشجيع المهتمين من العلماء وطلبة العلم على زيارة تلك البلاد للنهل من معارفها وعلومها.

ومن هؤلاء الرحاليين العرب الشيخ محمد بن ناصر العبودي الذي يعد واحداً من المؤلفين الموهوبين، والعلماء البارزين في عصرنا الحاضر الذي تفوق على أقرانه من خلال مؤلفاته الشاملة لعدد من الفنون الهمامة، فهو مؤرخ ونساب، ولغوی، وجغرافي، ورحالة، وقد بلغت مؤلفاته المطبوعة والمخطوطية ٢٤٧ مؤلفاً منها ١٦٢ مطبوعاً و (٨٥) لا يزال مخطوطاً.

ولد الشيخ محمد بن ناصر العبودي بمدينة بريدة، المملكة العربية السعودية عام ١٤٤٥هـ ، وتلقى تعليمه الأولى بالكتاب، ثم بالمسجد على أيدي كبار العلماء. ومن أساتذته الذين تلقى منهم دراساته الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ عمر بن سليم. عين العبودي بعد ذلك مدرساً في المدرسة الفيصلية عام ١٣٦٣هـ . وظف العبودي أمين مكتبة علمية عامة في بريدة أنشأها أستاذه عبد الله بن حميد وكانت تدعى مكتبة المسجد الجامع وعمل فيها مدة سنة. درس اللغة العربية والعلوم الإسلامية لمدة سنتين في المدرسة السعودية الرسمية في بريدة. تولى إدارة المدرسة المنصورية الرسمية في بريدة كذلك مدة خمس سنوات. ظل مديرًا للمعهد العلمي الثانوي في بريدة كذلك مدة خمس سنوات، وذلك من عام ١٣٧٢هـ حتى عام ١٣٧٧هـ . نقل إلى وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية برتبة وكيل وزارة في المرتبة الخامسة عشرة ويعي فيها تسع سنوات، وعين وكيلًا لها، مع التباهي عن رئيسها في أثناء غيابه؛ وذلك منذ قيام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٣٨١هـ حتى انتقاله عنها في عام ١٣٩٤هـ . ثم انتقل إلى الأمانة العامة للدعوة الإسلامية، وكذلك الأمانة العامة للهيئة العليا للدعوة، وذلك من عام

١٢٩٤هـ حتى عام ١٤٠٣هـ بالرياض، وأخيراً منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي وقد تولاه منذ عام ١٤٠٤هـ. أسمهم العبودي خلال عمله في رابطة العالم الإسلامي في وضع مناهج التربية والتعليم للمدارس الإسلامية في الخارج كما أشرف على تزويد الأقليات والجاليات المسلمة والمسلمين في البلدان الإسلامية الفقيرة بنسخ من المناهج السعودية الزائدة عن حاجة وزارة المعارف والرئيسة العامة لتعليم البنات. وقام بعدة رحلات إلى معظم بلدان أفريقيا وأسيا وأمريكا في سبيل الدعوة الإسلامية. ومن مزاياه الجدية في الحياة، والحرص على الوقت واستغلال الساعات، والهمة العالية وبذل العلم والتواضع وحسن الخلق. وله عدة مؤلفات منها:  
في أدب الرحلة:

مدغشقر بلاد المسلمين الصناعيين. جولة في جزائر البحر الزنجي. في نيبال بلاد الجبال. رحلة إلى جزر مالديف. رحلة إلى سيلان. صلة الحديث عن أفريقيا. مشاهدات في بلاد الفنصرين. زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية. رحلات في أمريكا الوسطى. إطلالة على نهاية العالم الجنوبي. إلى أقصى الجنوب الأمريكي. ذكريات في أفريقيا. جولة في جزائر البحر الكاريبي. على قمم جبال الأنديز. جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ. على ضفاف الأمازون. إطلالة على أستراليا. إلى بلاد الشرق الأوسط. في أعماق الصين الشعبية وما إلى ذلك من مطبوع وغير مطبوع.  
وفي الفنون الأخرى:

كتاب الكلمات الدخلية في لغتنا الدارجة. معجم بلاد القصيم (٦ مجلدات). معجم الأصول الفصيحة للكلمات الدارجة (وهو في ١٢ مجلداً). أخبار أبي العيناء اليمامي. الأمثال العامية في نجد (٥ مجلدات). كتاب الشقاء. العالم الإسلامي والرابطة. مشاهد من بريدة.

#### رحلات العبودي الهندية:

- ١- راجستان بلاد الملوك.
- ٢- في وسط الهند.
- ٣- في شرق الهند.
- ٤- الشمال الشرقي من الهند.
- ٥- نظرات في شمال الهند (مجلدان).
- ٦- سياحة في كشمير.
- ٧- في جنوب الهند

#### نظرة على رحلات العبودي الهندية:

راجستان بلاد الملوك: زيارة وحديث عن المسلمين: وهو حديث مفصل عن زيارته لولاية راجستان الواقعة في غرب الهند وأثارها التاريخية، ودون فيها كل ما وصل إليه عن الولاية من معلومات حقة. يبدأ بالمساحة السكانية للولاية وعدد المسلمين والنسبة المئوية لهم فيها، كما تحدث عن معالم وأثار المسلمين فيها خلال الحكم الإسلامي في الهند.

زار المؤلف مدينة جيفور خاصة وشهد آثارها التاريخية وأسواقها وجماعاتها، ومن الأجرد بالذكر منها جامعة الهدایة المؤسّسها الشیخ عبد الرحيم المجددی (يرحمه الله تعالى) الواقعة في مدينة جيفور، وألقى هناك كلمة، وشارك مأدبة الشیخ المجددی وكان العلامة الشیخ أبو الحسن التدوی أيضاً حاضراً بتلك المناسبة. كما زار العبوی القصر الملکی، وقصر الهواء (هوا محل) التاریخي، وشیش محل، ومعبد العجوز، ومشرد القرود الواقعة في نفس المدينة. شهد البوابة الأجمیریة، والجامع الجوھری، وحدیقة رام نیواس، والعديد من الأسواق الشهیرة. وفي نهاية الكتاب تعرض لذكر الأحزاب الہندوسیة المتطرفة التي تعاوی المسلمين أشد العداء، وسمى منها منظمة راشتریة سیوا سنج (آر ایس ایس) وفصل الحديث عن أیدیولوجیتها وأصلها ونشاطها المعادی للمسلمین وطريقه تمویلها وعضويتها ومسکر تدربیها، ورؤیاها وأعضاها البارزین، ومن المنظمات الہندوسیة الأخرى التي تعرض لها فیشوا هندو باریشد، وباجرانج دال، وشیفنا سینا، وحزب بهاراتیا جناتا السیاسی. الكتاب يقع في ٢٦٧/صفحة، ظهرت طبعته الأولى من مطبعة الفرزدق التجاریة عام ١٩٩٧م.

في وسط الهند: وفيه حديث عن رحلته إلى ولاية مادھیا برادیش. هذه الرحلة تشتمل على زيارات عديدة للمدن والمدارس والمتأثر التاریخیة، وقام بها المؤلف خلال مهمات عظيمة، ومن أهدافها حضور ندوات ومؤتمرات عامة وكلها إسلامیة العمل والهدف. وقد ذكر المؤلف أسباب الرحلة وعواملها، والمهمة الأولى من هذه الزيارة هي الاشتراك في الندوة التي تقيیمها (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) تحت عنوان (أدب الدعوة والإصلاح) ومن مدنهما ومناطقها التي زارها العبوی بوفال وإندور ومنطقة مندو. شهد في بوفال تاج المساجد، ومسجد موتي، وبنایة تاج محل أنسستها الملكة شاهجهان بیغم في بوفال ، وتشاهد هناك المسلمات الإسلامية ظاهرة ملموسة وزار خصوصا قبر وأکادیمية نواب صدیق حسن خان أحد نوابی بوفال وأمرائها العلماء الأفذاذ ومؤلف كتاب "أجد العلوم". وقد زار خلال جولته في بوفال منطقة منکوبیة بالغاز السام المتسرّب من مصنع وأصیب في هذه الكارثة أكثر من أربعة آلاف من المواطنين. المؤلف قد زار مدرسة الفلاح الإسلامية الواقعة في حي آزاد نقر المنسوب إلى أبي الكلام آزاد. زار المؤلف الأمکنة التاریخیة والمناطق المعروفة الإسلامية منها في منده. بدأ المؤلف السفر إليها وجال مناطقها ثم زار مدينة دهار. "وهي بلدة كانت مسلمة وأول عاصمة لمملکة مسلمة هي مملکة (مالوه) التي تقصد عاصمتها الشهیرة (مندو). الكتاب يقع في ٢٤٨ في قطعیة متوسط، مطبوع من مطبعة النرجس التجاریة عام ٢٠٠٧م .

في شرق الهند: رحلة وحديث في أحوال المسلمين: وهو يشتمل على رحلاته إلى ولاية أوریسا (اوڈیشا) والبنغال الغربية الواقعتين في شرق الهند. الشطر الأول من

الكتاب يشتمل على ذكر رحلته إلى أوريسا ومما زاره خلال جولته في بونيشر مسجد العاصمة كابيتال مسجد، ومدرسة جامع العلوم ومكتبتها. كما زار مسجد أولت ومنطقة المعابد الهندوسية الواقعة في بونيشر ووصفتها آلية الهندوس وصفا دقيقاً. وشهد بعض أرياف بونيشر وحديقة الحيوانات ولقي هنا جماعة من آدي باسي والريفين ونهر كوسينا قانقا. وبعد بونيشر قصد مدينة كلكتا وهي من مواطن المسلمين المعروفة لأنها كانت إمارة مسلمة ومركزا علمياً مهماً. زار هناك نهر جوري المشهور وسوقها الخاص ومسجد القلعة والمدرسة السلطانية ومسجد قدم الرسول. وتقدّم المؤلف أحوال وأوضاع المناطق والأحياء والأرياف كذلك، والشطر الثاني من الكتاب يبدأ من الصفحة رقم ١٠٣ إلى نهاية الكتاب. زار العبودي كولكتا من أكبر مدن الهند، زار المؤلف مدرسة عربية شهيرة قديمة تسمى بالمدرسة العالية كولكتا، وذكر تاريخ إنشائها واستعرض أحوالها، وتحدث مع بعض مدرسيها. ومن أهم ما زاره بالإضافة إلى كلية العالية مسجد أهل الحديث، ومسجد تيبو (منسوب إلى سلطان ميسور تيبو لأنه بناء)، والمتحف الهندي المعروف بآثاره والتقويد التاريخية واللوميات المصرية ونهر هوقلي في كلكته، ومسجد ناخودا. الكتاب يقع في ٢٢٢ صفحة، طبع عام ١٩٩٨ من مطبعة التقنية للأوفست.

الشمال الشرقي من الهند: وفيه حديث عن رحلته إلى ولاية بيهار، ومنطقة بنارس من ولاية أترا براديش. في هذه الرحلة ذكر المدن الشهيرة للمناطق الشمالية الشرقية ومن أهمها التي زارها خلال جولة لهذه المنطقة مدينة بتة ودربنغا. كما شاهد المدارس الإسلامية والأثار والمناطق المعروفة، ومن هنا زار مدينة بنارس المعروفة للمشاهدين الهندوسية والأثار غير الإسلامية عامة. وهناك شاهد وتعرف على أحوال المسلمين ورأى دورهم الملموس بما يؤدون من واجب نشر الدعوة الإسلامية والعقيدة السلفية السامية في الجامعية السلفية في بنارس. زار المؤلف مدينة بتة وما جاورها من المناطق وشاهد الآثار الإسلامية فيها، منها مكتبه خدا يخش الأثرية وتعتبر هذه المكتبة من أهم المكتبات في الهند التي تضم مخطوطات عربية، ولا يوجد لها مشابه إلا في مدینتين هما حيدر آباد ورامبور في ولاية يوبي. إنه زار مدينة دربنغا وزار الكلية المليلة للمسلمين فيها وهي كلية شهيرة تحدث عنها. وقد حضر المهرجان العلمي الذي أقيم في الجامعية المليلة الإصلاحية في بتة مع الوفد السعودي، وأنقى فيه كلمة أمام جمع حاشد من المسلمين، ثم ارتحل المؤلف إلى مدينة بنارس وشاهد هناك الآثار الإسلامية والهندوسية فيها كثيرة من الهياكل والمعابد، فجال أطراها واشترك في المؤتمر الذي عقد في الجامعية السلفية في بنارس، وفي هذه الجولة رأى أسواق البيع والشراء، ولاحظ أن بنارس مدينة نظيفة نسبية أو أنها أكثر تعظيمها من كثير من المدن الهندية، ومر المؤلف بالمعابد والهياكل

الهندوسية ومظاهر الموت والحياة، زار الجامعة السلفية في بنaras، وزار المؤلف الماثر والمشاهد التاريخية لأثار بودا منها شارنات، وقد زار معابد الديانة الجينية التي من أعلامها مهافيرا، وبحث عن عقائدهم وأفكارهم ووجهاتهم. تحتوي الطبعة الأولى من الكتاب على ٢٠٤ صفحة. صدرت في عام ٢٠١٠ من مطباع الفرزدق التجارية في الرياض.

نظرات في شمال الهند: وهو في جزئين، يشتمل على رحلاته إلى ولاية أترابراديش ودلهي عاصمة الهند. الجزء الأول من هذا الكتاب بمثابة دائرة شاملة للموضوعات التي تشغّل بال المسلمين خارج الهند. وعناوين هذا الجزء الرئيسية: غرائب الهند، غيادة البقر، تناصح الأرواح، الإسلام في الهند، الأضطرابات الطائفية، وضع المسلمين وأثارهم في الهند. هذا الكتاب لا يأتي في إطار الرحلات فإنه قد جمع فيه المعلومات والمعارف عن الأنوار والتقاليد والأعراف الهندية وإنها ليست خاصة بمكان أو جهة بل في الهند كلها تحمل هذه النظارات والأعراف والتقاليد، حتى فيه المؤلف عن المدن والأقطار الهندية من بومبي ودلهي وغيرها من المدن، وقد دون المؤلف المعلومات بتسيق حسن لكن العنوان الذي علق على الكتاب يصاد محتوياته لأن محتوياته تشمل الهند كلها وليس خاصة بمنطقة شمالية هندية. ذكر أولاً عن غرائب الهند مما لاحظ المؤلف خلال جولاته في المدن الهندية وذكر الحياة الساذجة المقتصرة على أقل من الضروريات فأهل الهند عامة في القرى والأرياف لا يتمتعون بالماكل والمشرب واللبس والمسكن إلا بأقل القليل وذكر المؤلف عادات ومعتقدات لأهل الهند، وقد تعددت الآلة والتماثيل في الهند لهم، ويعبدون الأشياء الضارة كالحيتان والأسود يجعلون لها تماثيل ويعبدونها، ويعظمون البقرة ويقدسونها كذلك. أما الجزء الثاني من الكتاب فهو يعرض في البداية معلومات أساسية عن ولاية أترابراديش، وبعد ذكر المعلومات تفصيل يومياته في شمال الهند بداية من دلهي ووصفها ومشاهدة آثارها التاريخية منها زيارة قطب منار وجولته في مقر الجماعة الإسلامية ثم سافر إلى آكره وزار هناك فتح بور سكري ومقدمة السلطان أكبر وقصر الشاه والمسجد الجامع والقلعة الحمراء، غادرها إلى لكهنو حيث زار دار العلوم ندوة العلماء وإمام بارا وجامع بير محمد، وعرض انتطاعاته الطيبة عن ندوة العلماء وقدم شيئاً من تاريخها ونشأتها. ومن أهم المدن التي زارها المؤلف في ولاية أترابراديش خلال رحلته الثانية إليها برباعي ومنها إلى ريشا. وفي نهاية الكتاب ملاحظات ووصية المؤلف لكافّة المسلمين بالبقاء على الإسلام والعمل بتعاليمه السمحنة. الجزء الأول من الكتاب يقع في ٢١٢ صفحة والجزء الثاني في ٣٢٤ صفحة وقدر كل منها من مطباع الفرزدق التجارية.

سياحة في كشمير: فيه حديث عن رحلاته إلى ولاية كشمير هذا الكتاب يتحدث عن أحوال كشمير وقضاياها وشئونها التعليمية والسياسية والاقتصادية وعن

نواح عديدة لأحوال المسلمين في بلاد كشمير، زار المؤلف ولاية كشمير مررتين وتحدث عنهما بالتفصيل ورأى أنها مختلفة في مجال الثقافة الإسلامية وإنها مناسبة من الجهات العملية في الحكومات الإسلامية العربية، خلال جولته في قرى وأرياف ومناطق كشمير تدرس المؤلف طبائعهم ومشاعرهم وثقافتهم، وشاهد المؤلف بعض الآثار من المساجد والمقابر وبعض الأماكن التقليدية للمسلمين في هذه البلاد منها جامع حضرت بل، وزار الحدائق المشهورة منها "قلمارج" المعروفة بجمالها الطبيعي للتغافل أشجارها الفارعة الجميلة وسط جبال تجلل رؤوسها الثلوج وخضرة كثيفة، رحلته الثانية إلى كشمير كانت بعد توليه المسؤولية من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة لتوثيق الصالات بالإخوة المسلمين الكشميريين فزار الجمعيات الإسلامية في كشمير وشاهد المراكز والمعاهد والجمعيات الإسلامية والتى بمسؤوليتها وأصحاب الخير فيها منها الموقف الخيري المسمى بإقبال التذكاري ومركز الجماعة الإسلامية في كشمير ومركز جمعية أهل الحديث، هذا الكتاب يقع في ٢٤٢ صفحة في تقطيع وسط، وقد ظهرت طبعته الأولى من مطابع الفرزدق التجارية عام ١٩٩١م.

في جنوب الهند: فيه حديث عن رحلته إلى الولايات الجنوبية من الهند وهي كرناٹك وتامل نادو وأندرا براديش تحدث العبودي في هذه الرحلة عن أحوال المسلمين من الناحية الثقافية والتلميمية، وقضايا وشؤون عديدة هناك كما ذكر المفردات اللغوية لاستخدام الكلمات والعبارات الأوربية فذكر الحكم والأمثال الهندية بما توجد في كتاب كليلة ودمنة، وفي هذه الرحلة عناوين خاصة تظهر عن العجائب والغرائب في الهند، وخاصة سلط الضوء على أساسيات الدينية الهندوسية فهو يرى أن الدينية الهندوسية تقوم على أساس غير متين، ومعتقداتهم ومواليهم كلها من الغرائب، ثم ذكر أحوال السفر لولاية تامل نادو، حضر المهرجان الذهبي في عمرآباد وذكر عن أسباب عقد المهرجان بمناسبة مرور خمسين سنة على إقامة الجامعة الإسلامية في عمرآباد، وبعد زيارة ولاية تامل نادو ذكر عن رحلته في ولاية كرناٹك في جنوب الهند، زار العبودي مشاهد ميسور والقلعة المنسوبة إلى السلطان تيبو الذي حارب مدة طويلة ضد الإنجليز، فأول ما رأه المؤلف هو المعابد الهندوسية القديمة، ورأى قصور السلاطين السالفين، ثم قصد المؤلف إلى مستشفى الأمين، وقد أسس إدارة الأمين مؤسسات عديدة علمية، كما زار ولاية اندرابراديش، زار العبودي العديد من مناطق هذه الولاية وشاهد الآثار والمعالم الإسلامية فيها ودرس أحوال مسلميها وأوضاعهم، وشاهد العديد من البلدان والمؤسسات والبيئات الإسلامية، زار دائرة المعارف العثمانية والجامعة العثمانية والمأثر المعروفة الأخرى، كما شاهد مكة مسجد الذي بناه الملك محمد قطب شاه عام ١٠٢٢ واتم بناء عالكبير بن شاهجهان في عام ١٠٩٨ وسماه مسجد مكة، هذا الكتاب يقع في ١٥٠

صفحة في تقطيع وسط، وقد ظهرت طبعته الأولى من مطابع الفردق التجارية عام ١٩٩٧ م - ١٤١٧ هـ.

نجد للعبودي أسلوباً صريحاً مكثوفاً خالياً من الغموض والتحفظ والمجاملة والتکلف، فهو وصف وتصوير من إنسان حي يحمل القلب والعاطفة والعقيدة.

نرى من ميزات هذه الرحلات أن صاحبها يلتقي نظرة عابرة على البلد الذي زاره ويدرك محاسنه وجوائز الضعف فيه وما سره في زيارته وما أحزرنه وما أثار فيه من استئثار وإشراق وذلك كله مع غاية الدقة والاهتمام.

رحلات العبودي تهدف إلى دراسة الأوضاع والأحوال الاجتماعية والعلمية والدينية خصوصاً للأقليات المسلمة وأحبياجها.

كتابات العبودي تفي بحاجة نفسها بغایة من الشدة وهو وضع إستراتيجية ناجحة للتعامل الإيجابي مع قضايا هذه الأقليات، والوقوف على ظروفها السياسية والفكرية. ولذلك قام برحلات إلى بلدان العالم.

كان العبودي قد درس أوضاع العالم كله، واطلع على جميع ظروفه السياسية والحضارية، وقد عرف اتجاهاته الدينية، وميوله الفكرية، وما كان فيه من إبداعات في الأساليب الدعوية، كما كان يعرف نفسية الشعب الإسلامي العربي، واقعيته في مجال العلم والدين والحضارة.

محمد بن ناصر العبودي يعد من أكثر الرحالة العرب غزارة، ورحلاته تعج بالمعلومات المرتبة يغلب عليها الحس الديني ولا سيما في تصوير مشاعره نحو أحوال المسلمين وتبادل الآراء حتى في زياراته الحكومية.

وان العبودي في كثير من الأحيان يورد مقارنات مهمة وذكية تخدم الهدف الذي قام بهذه الرحلات من أجله وهي أهداف اجتماعية ودينية.

وهذه المقارنات توضح إلى حد بعيد صورة حال المسلمين وأوضاعهم في بعض البلدان، ولذا فإن العبودي يعتمد إليها أيضاً حتى ولو كان هو طرفاً فيها.

وإلى جانب ذلك فقد تتوعد رؤى العبودي لتطلاق إلى قضايا الإنسانية التي لا تتعارض مع الرؤية الإسلامية.

يتمتع العبودي بفصاحة البيان وحسن السرد والإيضاح وسلامة الأسلوب الخالي عن غريب الألفاظ والتركيب التي طالما تساعد الطالب في تحسين لفته وتعلمها في أقل وقت وبدون صعوبة.

العبودي تجول في البلدان فتحصل لديه مشاهدات ومعلومات عن المدن والبلدان التي زارها، فهي مادة معرفية يظفر بها الدارس، ويحاول التعرف على أحوال المسلمين وتقدّم أوضاعهم الدينية والاجتماعية والعلمية، ويقدم حلول مشكلات المسلمين أثناء الكتابة عن شئونهم.

## نَهْشِيرُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ

للعلامة الشيخ سليمان الندوبي

تفسير القرآن بالقرآن (الأنعام)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوبي

موضوع السورة : نفي الشرك والريب في النبوة ، وكلمة الأنعام  
وردت في الآية (١٢٩) ، قال الله تعالى : "وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ  
خَالِصَةٌ لَذِكْرِنَا ❖ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ❖ وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً ❖ فَهُمْ فِيهِ  
شُرَكٌ أَء ❖ سَيَجْزِيهِمْ وَاصْفَهُمْ ❖ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ" .

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ❖ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ❖ وَأَجَلٌ مُسْمَىٰ عِنْدَهُ :  
قال الله تعالى : "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِاللَّيْلِ ❖ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ  
بِالنَّهَارِ ❖ ثُمَّ يَبْثَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسْمَىٰ ❖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ❖  
ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (الأنعام / ٦٠) .

وَلَوْ تَرَلَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ :

قال الله تعالى : "يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا  
مِنَ السَّمَاءِ ❖ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ❖ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ  
جَهَرًا ❖ فَأَخْذَتْهُمُ الصَّاعِقةُ بِظُلُمِهِمْ ❖ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَنَ مِنْ بَعْدِ مَا  
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَنَفَوْتُمَا عَنْ ذَلِكَ ❖ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا" .  
(النساء / ١٥٣)

وقال : "أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ رُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ❖  
وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيقَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تَقْرَأُهُ ❖ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ❖  
هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا" (بنو إسرائيل / ٩٢) .

وَلَوْ أَنْزَلْنَا مِلْكًا لِقْبَنِي الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ :  
قال الله تعالى : " وَقَالُوا مَا لِهَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ◆  
وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ◆ لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلِكٌ ◆ فَيَكُونُ مَعْهُ نَذِيرًا ◆  
(الفرقان/٧) .

وقال : " أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي  
بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا " (بنو سرائيل/٩٢) .

وَلَقَدْ اسْتَهْزَئَ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِّينَ سَخَرُوا مِنْهُ :  
قال الله تعالى : " وَيَصْنَعُ الْفُلُكَ ◆ وَكُلُّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ  
سَخَرُوا مِنْهُ ◆ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي ◆ فَبِأَنِّي سَخَرْتُ مِنْكُمْ كَمَا  
تَسْخَرُونَ " (هود/٣٨) .

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ◆ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ :  
حَكِيمٌ فِي قُوَّتِهِ وَخَبِيرٌ بِعِبَادِهِ .

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ :  
قال الله تعالى : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ  
أَبْنَاءَهُمْ ◆ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ ◆ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ◆  
(البقرة/١٤٦) .

وَيَوْمَ تَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ◆ ثُمَّ تَقُولُ لِلذِّينَ أَشْرَكُوا :  
قال الله تعالى : " يَوْمَ يَعْلَمُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ◆ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا  
يَحْلِفُونَ لَكُمْ ◆ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ◆ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ◆  
(المجادلة/١٩) .

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزِنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ◆ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ :  
قال الله تعالى : " فَلَا يَحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ ◆ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرِّوْنَ وَمَا  
يُعْلِمُونَ " (يس/٧٦) .

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ اغْرَاضُهُمْ ... فَنَأْتِيهِمْ بِآيَةً :  
أي آية تضطرهم إلى الإيمان .

وعندئذ مقاييس القبيح لا يقلمها إلا هو .... إلا في كتاب مبين :

الكتاب هو العلم الإلهي الأزلية .

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر :

قال الله تعالى : "إِنَّمَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانًا ❀ ثُمَّ إِذَا حَوَلَنَاهُ نُغْمَمَةً مِنَّا ❀ قَالَ إِنَّمَا أُوتِينَتِهُ عَلَى عِلْمٍ ❀ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ❀ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ❀ قَدْ قَالَهَا الظَّرِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ❀ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ❀ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا ❀ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُوَلَاءِ سَيِّصِينَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا ❀ وَمَا هُمْ بِمُفْجِزِينَ" (الزمر/٤٩-٥١) .

وقال : "إِنَّمَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ❀ فَلَمَّا تَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ❀ لَيَكُفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ وَلَيَتَمَّلَّعُوا ❀ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ" (العنكبوت/٦٥-٦٦) .

وقال : "إِنَّمَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبِّهِمْ مُتَبَيِّنَ إِلَيْهِ ❀ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً ❀ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ❀ لَيَكُفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ ❀ فَتَمَّلَّعُوا ❀ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ" (الروم/٣٤-٣٥) .

وإذا رأيْتَ الظَّرِينَ يَخْوُضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ :

قال الله تعالى : "وَقَدْ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِءُ بِهَا ❀ فَلَا تَقْعُدُوهُمْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخْوُضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ❀ إِنَّكُمْ إِذَا مُتَّهِمُونَ ❀ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا" (النساء/١٤٠) .

ومَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقُّ قَدْرِهِ ❀ إِذَا قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ : القائلون كفار مكة أو اليهود .

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ : أَيُّ اللَّهُ أَنْزَلَ .

وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ هُنْ غَمَرَاتُ الْمَوْتِ : أَيْ عِذَابُ الْبَرْزَخِ .

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ :

أَيْ إِخْرَاجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَهُوَ إِخْرَاجُ الشَّجَرِ مِنَ الْحَبَّ وَالنَّوْيِّ .

وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانَا :

قال الله تعالى : " وَآيَةٌ لَهُمُ الْلَّيْلُ تَسْلُحُ مِنْهُ النَّهَارَ ❖ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ❖ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمَسْتَقْرَرٍ لَهَا ❖ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّحِيمِ الْعَلِيِّمُ ❖ وَالقَمَرُ قَدْرُنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعَرْجُونِ الْقَدِيرِمُ ❖ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرُ ❖ وَلَا الْلَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ ❖ وَكُلُّ فِي هَلَكَ يَسْبِحُونَ " (يس/٤٠-٢٧).

وقال : "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاءً وَاتَّهَى فِي يَوْمَيْنِ ❖ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ❖ وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحَفْظًا ❖ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّحِيمِ الْعَلِيِّمُ " (حم السجدة/١٢).

**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ حَبَّاً مُتَرَاكِيَاً :**

قال الله عزوجل : " وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَّا مِنَ الْحَرَثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبَنَا ❖ فَقَاتُلُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ❖ وَهَذَا لِشَرِكَائِنَا ❖ فَمَا كَانَ لِشَرِكَائِهِمْ ❖ فَلَا يَصِلُّ إِلَى اللَّهِ ❖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ ❖ فَهُوَ يَصِلُّ إِلَى شَرِكَائِهِمْ ❖ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ " (الأنعام/١٣٦).

**وَكَذِلِكَ تُصَرِّفُ الْأَيَّاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِتُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ :**

قال الله تعالى : " وَإِذَا بَدَئْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً ❖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزَلُ ❖ قَاتُلُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتِرٌ ❖ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ❖ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ❖ لِيُبَيِّنَ النَّذِينَ آمَنُوا ❖ وَهُدَى وَبَشَّرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ❖ وَلَقَدْ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ❖ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ❖ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمَنِي ❖ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " (النحل/١٠١-١٠٢).

وقال : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا افْتِرَاهُ ❖ وَأَعْنَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ❖ فَقَدْ جَاءُوا ظَلَّمًا وَرُورًا ❖ وَقَاتُلُوا أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَهَا ❖ فَهِيَ ثُمُّسٌ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصْبَلًا " (الفرقان/٥-٤).

**فَكَلُّو مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِأَيَّاتِهِ مُؤْمِنِينَ :**

قال الله تعالى : " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحْلَ لَهُمْ ❖ قُلْ أَحْلُ لَكُمْ

الطيبات ◆ وما علمنتم من الجوارح مكابين تعلمونهن مما علمنكم الله ◆ فكلوا مما أمسكنا عينكم ◆ وادركروا اسم الله عليه ◆ واثقو الله ◆ إن الله سريع الحساب (المائدة/٤).

وقال : "وَأَدْنَ في النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ◆ وَعَلَى كُلِّ ضَامِيرِ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ ◆ لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ◆ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ◆ فَكَانُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوهُمُ الْبَأْسَاسَ الْفَقِيرَ" (الحج/٢٨).

وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه :

قال الله تعالى : قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ◆ فجعلتم منه حراماً وحلالاً ◆ قل الله أذن لكم ◆ ألم على الله تفترون ◆ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ◆ إن الله لذو فضل على الناس ◆ ولكن أكثرهم لا يشكرون" (يوسوس/٥٩-٦٠).

ولَا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنما لفسق :

قال الله تعالى : قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طعام يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوهاً أو لحم خنزير ◆ فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به ◆ فمن اضطر غير باغ ولا عام ◆ فإن ربك غفور رحيم" (الأنعام/١٤٥).

وقال : "وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من شاء بزعمهم ◆ وأنعام حرمته ظهورها ◆ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ◆ سيجزيهم بما كانوا يفترون" (الأنعام/١٣٨).

قال أولئكهم من الإنس رينا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلاها الذي أجلت لـنا :

قال الله تعالى : "وَآتَهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ◆ فَزَادُوهُمْ رَهْقاً" (الجن/٦).

وقال : "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ ثَبَاباً ◆ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ

إِنَّهُمْ لَمَحْضُرُونَ (الصافات/١٥٨).

وقال : وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ◆ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُؤُلَاءِ  
إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ◆ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونَهُمْ ◆ بَلْ  
كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّةَ ◆ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ◆ فَالْيَوْمُ لَا يَمْلِكُ  
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ شَفَاعًا ◆ وَلَا ضَرًا ◆ وَتَقُولُ لِلذِّينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ  
الثَّارِ ◆ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (سبا/٤٢-٤٠).

وَرَبِّكَ الْفَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ : وَالْفَنِيُّ لَا يَكُونُ ذَا رَحْمَةٍ .

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَفْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَغْرُوشَاتٍ :

قال الله تعالى : وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ◆ فَأَخْرَجْنَا بِهِ  
بَيَّنَاتٍ كُلُّ شَيْءٍ ◆ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا تُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّا مُتَرَاكِبًا ◆  
وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانَ دَانِيَةَ ◆ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ◆ وَالزَّيْتُونَ  
وَالرَّمَّانَ مُسْتَبَّهَا وَغَيْرَ مُسْتَبَّهَا ◆ انْظُرُوا إِلَى تَمْرِهِ إِذَا أَتَمَرَ وَيَنْعِهُ ◆ إِنَّ  
فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الأنعام/٩٩).

ثَمَانِيَةَ أَرْوَاجٍ ... :

قال الله تعالى : "خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ◆ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا  
زَوْجَهَا ◆ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَرْوَاجٍ ◆ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ  
أُمَّهَاتِكُمْ ◆ خَلَقَ مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظَلَمَاتٍ ثَلَاثٌ ◆ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ  
لَهُ الْمُلْكُ ◆ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ◆ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ" (الزمر/٦).

قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يُطْعَمُهُ :

قال الله تعالى : حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ◆  
وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ◆ وَالْمُنْخَنِقَةَ وَالْمَوْقُوذَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ وَالنَّطِيحَةَ ◆  
وَمَا أَكَلَ السَّبَعَ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ ◆ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النُّصُبِ ◆ وَأَنْ  
تَسْقِسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ◆ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ◆ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ  
دِينِكُمْ ◆ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ ◆ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ◆  
وَأَنْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ◆ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيْنًا ◆ فَمَنْ اضطُرَّ

## البعث إلى الله

تفسير القرآن الكريم ...

فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرُ مُتَجَاهِفٍ لِإِثْمٍ ❖ فَبَلَّ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (المائدة/ ۳۲) .

أَوْ فَسِقًا أَهْلَ لَفِيرِ اللَّهِ بِهِ :

قال الله تعالى : " وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ❖ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ❖ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونُ إِلَى أُولَئِكَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ❖ وَإِنَّ أَطْعَمْتُمُوهُمْ ❖ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ" (الأنعام/ ۱۲۱) .

إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ كَانُوا شَيْعًا :

قال الله تعالى : " مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ ❖ وَكَانُوا شَيْعًا ❖ كُلُّ حَزِيبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" (الروم/ ۲۲) .

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ :

قال الله تعالى : " هَاقِمٌ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا ❖ فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ❖ لَا تَبْدِيلٌ لِخَلْقِ اللَّهِ ❖ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ❖ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (الروم/ ۲۰) .

قُلْ أَفَيْرَ اللَّهُ أَبْغِيْ رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ❖ وَلَا تَكُسُبْ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا :

قال الله تعالى : " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَزِرُّ أُخْرَى ❖ وَإِنْ تَدْعُ مُتَقْلَةً إِلَى حَمْلِهَا ❖ لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْئٌ ❖ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ❖ إِنَّمَا تَشْدُرُ الَّذِينَ يَحْشُوْنَ رَبِّهِمْ بِالْغَيْبِ ❖ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ❖ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ❖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ" (فاطر/ ۱۸) .

وقال : " إِنْ تَكُفُّرُوا ❖ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ❖ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرُ ❖ وَإِنْ شَكُّرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ❖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَزِرُّ أُخْرَى ❖ وَلَمَّا إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ❖ فَيَبْثَثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ❖ إِنَّهُ عَلَيْهِ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (الزمر/ ۷) .

وقال : " أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا نَبَيَّنَ صَحْفَ مُوسَى ❖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَهُنَّ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَزِرُّ أُخْرَى" (النجم/ ۳۸-۳۶) .

انتهت سورة الأنعام بحمد الله وتوفيقه

## رابطة أبناء الندوة نيوهولسي

### توزيع "منح الشیخ أبي الحسن على الندوی الدراسي"

إعداد: مختار إمام الندوی  
العضو المؤسس للرابطة

عقدت رابطة أبناء الندوة ، نيوهولسي حفلة لتوزيع : "منح الشیخ أبي الحسن على الندوی الدراسي" بين الطلبة المتخرجین في المدارس الإسلامية الهندية والدارسين في مختلف الدورات الجامعية مساء الثلاثاء ۱۸ / فبراير ۲۰۱۴م ۱۴۳۵ھ في مقر الرابطة بنيوهولسي ، وذلك تحت رئاسة الدكتور ظفر الإسلام خان الندوی ، رئيس مجلس مسلمي الهند الاستشاري ، ورئيس تحریر صحیفة " ملي غزت" الإنجليزية النصف الشهریة وبحضور ضیوف شرف منهم الدكتور سید محمد فاروق ، رئيس شركة الهمالايا للأدویة ، والبروفیسور شفیق احمد خان الندوی ، رئيس قسم اللغة العربية وأدابها بالجامعة الملة الإسلامية سابقاً ، والدكتور أبو سعبان روح القدس الندوی ، أستاذ الحديث الشريف وعلومه في جامعة ندوة العلماء بلکناؤ ، ورئيس تحریر مجلة صوت الخريجين ، والأخ عمیق جامعی ، الأمین العام لمنظمة دلهی للعدل ، وعدد کبیر من الأساتذة والطلاب الجامعین .

بدأ الحفل بتلاوة آی من الذکر الحکیم تلاماً الأخ منور کمال الندوی ثم تقدم الأخ محمد ناصر الندوی مع جماعته وقدموا النشید الرسمی لجامعة ندوة العلماء ، وقدم الأخ عبید الله جنید الندوی رئيس رابطة أبناء الندوة تعریفاً عن الحفل والضیوف الكرام .

وتم توزیع عشرات المنح في طلبة مختلف الموضوعات الدراسیة الجامعیة على يد رئيس الحفل الدكتور ظفر الإسلام خان الندوی ، وضیوف الشرف الأستاذ الدكتور شفیق احمد خان الندوی ، والأستاذ عبد الحق الفلاحی .

ثم قدم الأخ سعد رشید خان الندوی ، الأمین العام للرابطة تقریراً موجزاً عن مسیرة الرابطة منذ أول يومها إلى يومنا هذا قائلاً : تماشیاً مع توجیهات أساتذتنا الكبار بمن فيهم أستاذنا المرحوم السيد عبد الله محمد الحسني الندوی رحمة الله ، وشيخنا ومربيانا الدكتور سعید الاعظمی الندوی ، مدير جامعة ندوة العلماء ومشرف رابطة أبناء الندوة نيوهولسي ، والبروفیسور شفیق احمد خان الندوی بدأنا العمل في تأسیس الرابطة وتفعیلها من إنشاء موقع : "کشاف أبناء الندوة" لجمع وتشجیع جهود أبناء الندوة في شتی المجالات ، ثم بفضل الله وعونه سبحانه نیسر لنا القيام بالعديد من الأعمال الہامة للجیل المتخرج في المدارس من توفير دورة تأهیلية للالتحاق بمختلف الکورسات (المناهج) الجامعیة والاهتمام بالدبلوم في

العربية والإنجليزية إلى أن وفقنا الله جل وعلا مساعدة إخواننا بالمنج الدراسية الموسومة بـ "منح الشيخ أبي الحسن على التدوي الدراسية" ، وأضاف بأن مشروعنا القائم هو إعداد جيل من المحامين من المتخريجين في المدارس ، الذين قد تم تربيتهم على أيد صالحة متوضئة ، وذلك بهدف تقديم مساعدات قانونية للسجناء المسلمين الأبرياء بينما توجد لدينا مشاريع أخرى لا يسع لنا المجال بذكر تفاصيلها الآن وسوف ننشرها على موقع الرابطة ، والله هو الموفق والمستعان .

أبدى البروفيسور شفيق أحمد خان التدوي والشيخ أبو سحبان والأستاذ عبد الحق الفلاحي انتطاعاتهم .

وقال الدكتور سيد محمد هاروق في كلمته : هذه الأعمال التي تعاملونها لإخوانكم الآخرين هي التي تميز الإنسان من الحيوانات ، فبجهودكم هذه يتقدم طلبة مدارسنا في شتى المجالات العلمية والأدبية ، وهكذا يتحقق لنا المجد والسعادة .

أشاد الدكتور ظفر الإسلام خان التدوي في كلمته الرئاسية بجهود الرابطة في سبيل خدمة طلبة المدارس الإسلامية في دفعهم إلى الأمام ، وقال : إن من أكبر مآسي أمتنا في بلدنا هو وجود الأنانية في المثقفين عند وصولهم إلى أي منزلة ، فلا يرون إلى من هم ورائهم دون أنفسهم وأهليهم مستذكرا بأن عملكم هذا جدير بأن يذكر ويذكر .

### افتتاح "ترجمة توضيحية" لـ القرآن الكريم

قام سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني التدوبي رئيس ندوة العلماء العام بافتتاح ترجمة توضيحية باللغة الأردية التي تولاها الشیخ محمد حسان النعماني نجل العلامة الشیخ محمد منظور النعماني رحمة الله عليه عالم الهند الكبير ومنشئ مجلة "الفرقان" الإسلامية الشهرية ، التي لا تزال يصدرها نجله العزيز الشیخ خليل الرحمن سجاد النعماني من لكناؤ .

عقدت حفلة في رحاب مضيق دار العلوم لندوة العلامة يوم الأحد ١٨/٥/١٤٢٥هـ الموافق ٢٠١٤/٥/١٨ برئاسة سماحة العلامة الشیخ السيد محمد الرابع الحسني التدوبي ، الذي قام بافتتاح هذه الترجمة وأشاد بالعمل المفيد الذي أنجزه الشیخ محمد حسان النعماني ، والذي سيكون له تأثير في أوساط الجماهير من الناس ، وطلبة العلوم الإسلامية .

حضر المناسبة فضيلة الشیخ السيد محمد واضح رشید الحسني التدوبي ، معتمد التعليم لندوة العلماء ، والشیخ محمد صہیب التدوبي رئيس قسم التفسیر لدار العلوم ، وأخرون من جماعة الأساتذة والطلاب .



## أضواء على الجهود العبذولة في دعم قواعد التوحيد والسلة

قلم التحرير

أهدى إلينا فضيلة الشيخ الدكتور فرقان مهريان علي المدنى ، هذا الكتاب الذي يلقي ضوءاً لاماً على الجهود التي بذلها المصلح الكبير الداعية الإسلامية الشهير الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى والملكة العربية السعودية في مجال دعم عقيدة التوحيد ونشر السنة المطهرة ، وبث الأمان والسلام في العالم الإسلامي .

هذا الكتاب باللغة الأردية ولكنها في الواقع ترجمة مقالات كتبها المؤلف الكريم بالعربية حول عقيدة التوحيد ومكانة السنة المطهرة ورد الشرك والبدع ، في ضوء الكتاب والسنة ، ويعلم الجميع أن المؤلف الكريم الشيخ الدكتور فرقان خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومؤسس جامعة القرآن والسنة الخيرية في بجنور بولاية أترابراديش الهند ، وأحد الدعاة إلى الله تعالى في هذه البلاد .

### ٢- فضائل القرآن الكريم

كما أن له مؤلفاً آخر حول فضائل القرآن الكريم باسم : (فضائل القرآن الكريم) ألفه في بيان تعاليم القرآن الكريم التي أحدثت ثورة عظيمة في العالم البشري ، وقد وزع هذا الكتاب على أربعة أبواب وخاتمة :

الباب الأول : يحتوي على بيان حكمة الله تعالى في خلق الجن والإنس وتفاصيلها .

الباب الثاني : يشتمل على أهم الفضائل لحملة القرآن الكريم .

الباب الثالث : يحتوي على أهم صفات حفظة القرآن الكريم .

الباب الرابع : يحتوي على تأكيد اتباع العلماء والأمراء الم الدينين ، وتحكيم الكتاب والسنة لدى كل خلاف ، وعلى أن متبني الكتاب والسنة من المؤمنين سيكونون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيمة ، ونحن إذ نهنئ المؤلف الكريم على إخراجه

هذين الكتابين وحصوله على شهادة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم بتقدير مرتبة الشرف الأولى ، نرجو أن يقوم بترجمة أجزاء الموضوع المهمة إلى اللغة العربية لكي تمني الإفادة منه لعلماء مجتمعات اللغة العربية وفي أوساط العلماء العرب ، بمشيئة الله تعالى .

### ٣- دراسة تحقيقية لبيان القرآن الكريم

هذا الكتاب دراسة تحقيقية لتفسير "بيان القرآن" الذي ألفه العالم الرياني الكبير ، ومربى الجيل الإسلامي الشهير العلامة الشيخ أشرف علي التهانوي المعروف بـ "مولانا تهانوي" ، وكتابه هذا ذو أهمية كبيرة في مجال ترجمة القرآن الكريم وتفسيره باللغة الأردية ، يتجلّى فيه الإنفاق والتذير والتعقّم في معانٍ القرآن الكريم وأياته ، وقد استفاد منه جميع الطبقات الإسلامية في شبه القارة الهندية بما فيها باكستان وبنغلاديش ، والبلدان الناطقة باللغة الأردية .

كان من سعادة حظ الدكتورة ريحانة ضياء الصديقي أنها تناولت هذا الكتاب الجليل بالدراسة والتحقيق إعداداً لرسالة الدكتوراه ، التي منحتها عليها جامعة عليكراء الإسلامية شهادة الدكتوراه بالدرجة الأولى .

وهذا الكتاب يحتوي على ثمانية أبواب :

الباب الأول : ترجمة حياة العالم الرياني التهانوي .

الباب الثاني : أهمية مؤلفاته ومواعظه .

الباب الثالث : استعراض لعدة مؤلفات العلامة التهانوي .

الباب الرابع : تعريف موجز لتفسير بيان القرآن .

الباب الخامس : دراسة تحقيقية لبعض التفاسير التي سبقت بيان القرآن .

الباب السادس : بيان خصائص بيان القرآن في ضوء الترجم الأردية .

الباب السابع : استعراض فقهي وكلامي لتفسير بيان القرآن من وجهة نظر التفسير بالتأثير .

الباب الثامن : خصائص بيان القرآن في ضوء الدراسات القرآنية .



**إلى رحمة الله تعالى :**

**رحيل السيد فضل حق الندوى إلى رحمة الله تعالى**

قلم التحرير

أهدت الأنباء بوفاة الأخ العزيز السيد فضل حق الندوى نجل فضيلة الشيخ واعظ الحق رحمة الله وشقيق فضيلة الأستاذ السيد فضل الرحمن الواعظي الندوى عقب مرض عضال ظل من أجله طريح الفراش إلى مدة شهر فإنما لله وإنما إليه راجعون .

فوجئنا بوفاة الراحل العزيز عن طريق الجرائد الصادرة في لكتناؤ وذلك يوم ٣ من شهر رجب لعام ١٤٢٥هـ الموافق ٢ من شهر مايو ٢٠١٤م ، وقد خلف المرحوم وراءه ابناً وبنيتين ، وقد صلى عليه فضيلة الشيخ فضل الرحمن الندوى إمام جامع الربوة للشيخ بير محمد في لكتناؤ ودفن داخل مقبرة جامع الربوة .  
ونحن إذ نعزي أسرة الراحل العزيز وشقيقه الأكبر الشيخ فضل الرحمن الندوى ، تتضرع إلى الله تعالى أن يرفع درجاته ويغفر له زلاته ، ويسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر الجميل .

**فضيلة الحاج محمد كليم الصديقي إلى رحمة الله تعالى**

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الأخ الحاج محمد كليم الصديقي ليلة الحادي عشر من شهر رجب ١٤٢٥هـ الموافق ١١ من شهر مايو ٢٠١٤ من غير مرض مسبق عقب نوبة قلبية مفاجئة فإنما لله وإنما إليه راجعون .

الراحل الكريم الحاج محمد كليم الصديقي هو شقيق فضيلة الشيخ كفيف أشرف الداعية الإسلامي الشهير في مدينة لكتناؤ الهند ، وقد كان نبياً وفاته مبعث أسف وحزن بالغين في جميع الأوساط العلمية والدينية في لكتناؤ وما جاورها من المدن والمناطق ، ذلك أنه كان معروفاً بسيرته وخلقه ومعاملاته الطيبة بين الناس ومحبوباً لديهم .

صلى عليه كاتب هذه السطور مع حشد كبير من وجاهاء لكتناؤ وجماهير المسلمين .

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ كفيف أشرف حفظه الله تعالى ، وندعو الله تعالى أن يكتب الله للفقيد الرحمة والمغفرة ، ودخول الجنة ، نرجو منه أن يوفق الجميع لدعائنا المغفرة ويلهمهم الصبر والسلوان على المصاب ، فإن كل نفس ذاته الموت .